العلاقات التجارية بين الفاطميين والبيزنطيين

حتى سقوط الخلافة الفاطمية

دكتور

بدر عبد الرحمن محمد

أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد

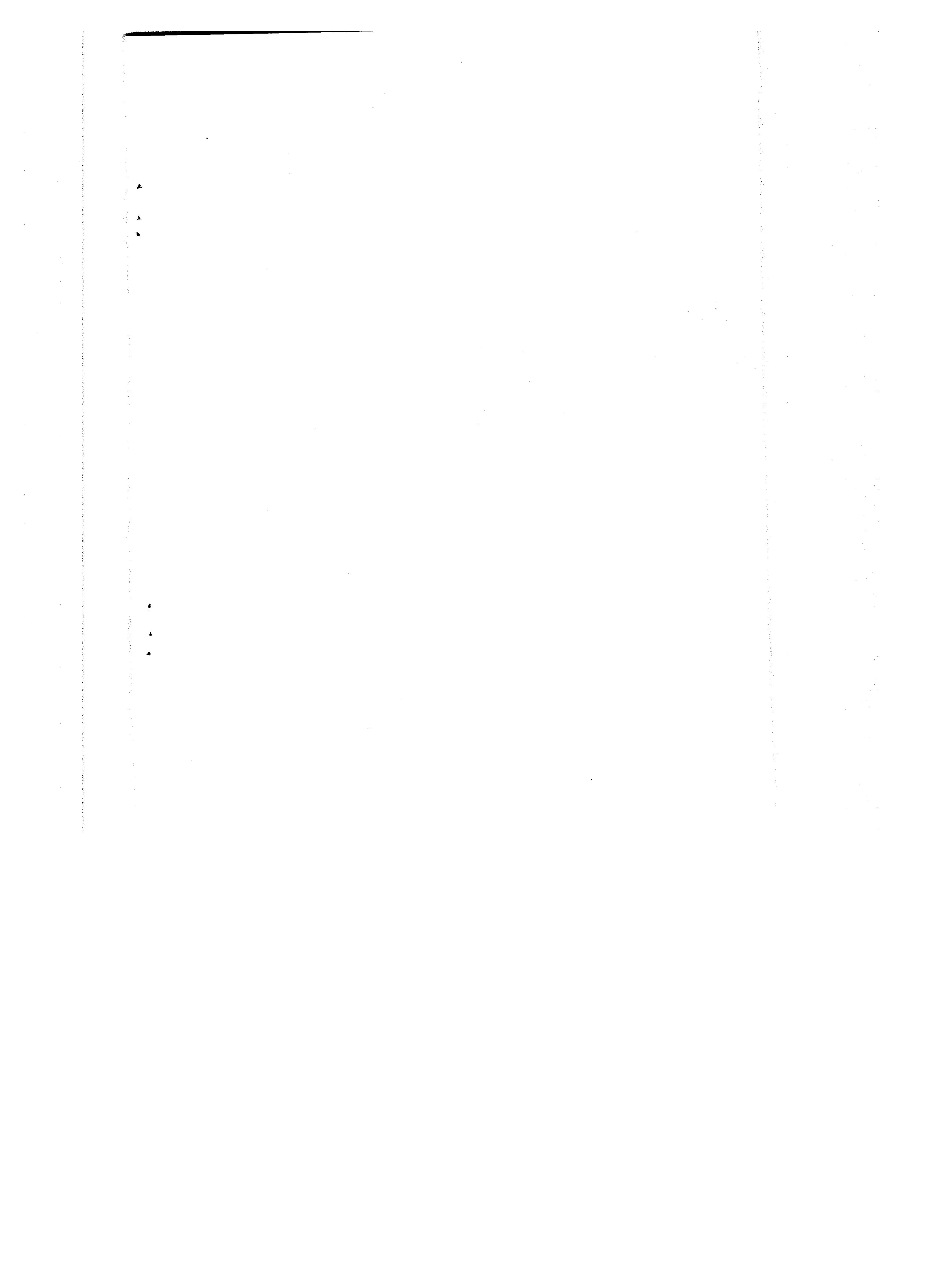
بكلية آداب بنها

١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م

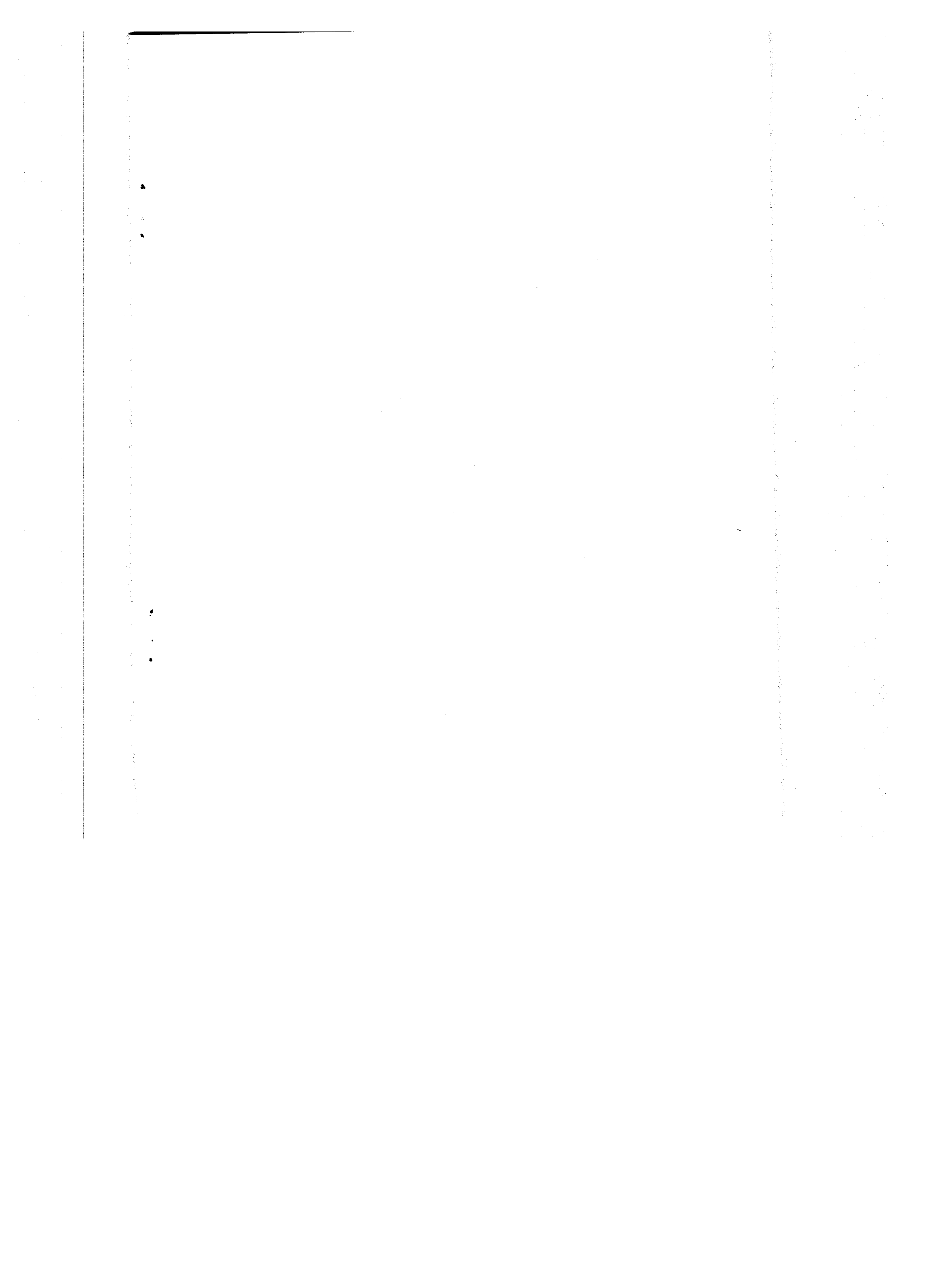
الناشر

مكتبة الأنجلو المصرية

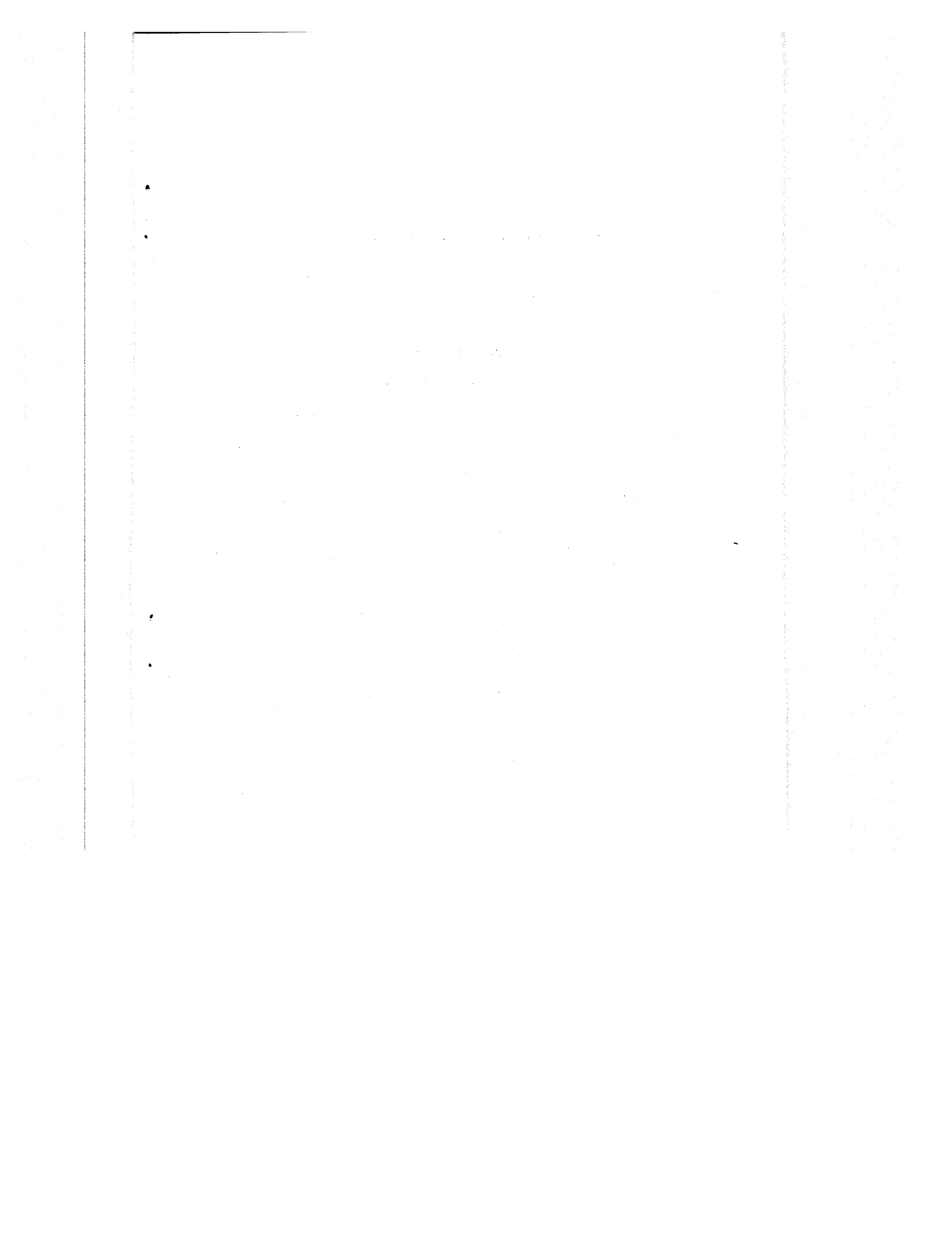
١٦٥ شارع محمد فريد - القاهرة



بسم الله الرحمن الرحيم



فهرس الموضوعات



مقدمة البحث

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين سيدنا محمد أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد ...

فهذا البحث يتناول " العلاقات التجارية بين الفاطميين والبيزنطيين حتى سقوط الخلافة الفاطمية " . وقد قسمته إلى أربعة فصول يتناول الفصل الأول " عوامل ازدهار التجارة فى مصر فى العصر الفاطمى " فتحدثت عن الطرق البرية والبحرية التى تربط مصر بالشرقين الأقصى والأدنى فضلاً عن الغرب الأوربى .

ثم تكلمت عن الأسواق الداخلية وما أسهمت به فى نشاط حركة التجارة الداخلية ثم عرضت لمراكز التجارة الخارجية المتمثلة فى المدن والموانئ المصرية واسهامها فى تسهيل حركة التبادل التجارى بين مصر وبلدان العالم الخارجى .

أما الفصل الثانى تحدثت فيه عن " عوامل ازدهار التجارة فى بيزنطة " ، وأشرت إلى الطرق التجارية البرية والبحرية المؤدية إلى بيزنطة ، كما تناولت مراكز التجارة الخارجية ودورها فى ازدهار التجارة البيزنطية مع غيرها من البلدان .

وفى الفصل الثالث وعنوانه " تطور العلاقات التجارية بين الدولة الفاطمية والدولة البيزنطية " تكلمت فيه عن أثر الأوضاع الدينية فى مصر على العلاقات السياسية مع الدولة البيزنطية . فبينت كيف تأثرت العلاقات بين الدولتين لموقف بعض الخلفاء الفاطميين من الذميين من أهل البلاد وخاصة فى عهد الخليفة العزيز بالله والحاكم بأمر الله وتحدثت عن أثر تلك المواقف لدى الدولة البيزنطية باعتبارها ممثلة للكنيسة الرومانية الشرقية وحامية للجاليات المسيحيية فى الشرق .

ولم أغفل دور التجار فى تنشيط حركة التجارة ، حيث أسهم تجار الجانبين الفاطمى والبيزنطى فى ازدهار ونمو التبادل التجارى فضلاً عن المدن الإيطالية التى أفادت من الصراع بين الدولتين وخاصة فىعصر الحروب الصليبية،كما أشرت إلى السلع المتبادلة فى المنطقة العربية وأهمها تجارة الشرق الأقصى من التوابل والمنسوجات الحريرية والأحجار الكريمة والمعادن ، وكان الطلب عليها كثيراً فى الغرب الأوربى وكان التجار الفاطميون والبيزنطيون وسطاء لهذه التجارة إلى تلك الجهات .

ولعبت المنشآت التجارية دوراً فعالاً فى ازدهار ونمو الحركة التجارية ، فقد أقيمت القياسر والفنادق والخانات والوكالات لخدمة التجار فى جميع أحوالهم ، فالقياسر لتخزين البضائع واقامة التجار الوافدين والفنادق لاقامة الجاليات المختلفة وبأجر حيث يمارسون فيها عاداتهم وتقاليدهم الدينية والاجتماعية ؛ وحرصت المدن الإيطالية على أن تستأثر بفندق وشارع تجارى فى كل منطقة يفتحها الصليبيون فى الشام ، وكذلك قامت الخانات بدور مخازن البضائع أيضاً ومكاناً لراحة التجار ، أما الوكالات فقامت بدور كبير فى تسهيل حركة استقبال البضائع وتخزينها لحساب أصحابها وبيعها أحياناً بمقتضى تفويض من صاحبها للوكيل التجارى المقيم سواء بالقاهرة أو الفسطاط أو غيرها من المدن والموانئ المصرية .

وفى الفصل الرابع وعنوانه " المعاملات المالية والتجارية " تحدثت عن المكوس والضرائب التى فرضت على مختلف أنواع السلع التجارية ومنها ما هو شرعى كالزكاة والجزية ومنها ما هو غير شرعى كالمكوس ؛ كذلك تكلمت عن العملات المتبادلة بين مصر والدولة البيزنطية من الدراهم والدنانير والفلوس .

والله نسأل أن يوفقنا لالقاء مزيد من الضوء علىأحداث التاريخ الإسلامى.

والله من وراء القصد

د. بدر عبد الرحمن محمد

الفصل الأول

عوامل ازدهار التجارة فى مصر فى العصر الفاطمى

- الطرق التجارية المؤدية إلى مصر .
- الأسواق الداخلية .
- مراكز التجارة الخارجية .

الفصل الأول

عوامل ازدهار التجارة فى مصر فى العصر الفاطمى

- الطرق التجارية المؤدية إلى مصر :

كان مما زاد فى انتعاش حركة التجارة الطرق ، التى سهلت على التجار نقل بضائعهم . فقد ربطت مصر مع كثير من البلدان سلسلة من الطرق البرية والبحرية وكان من أهم هذه الطرق :

الطريق البرى بين مصر والشام والعراق :

وكان السفر إلى بلاد الشام بطريق البر أو بالبحر ، ويبدأ الطريق البرى إلى فلسطين من الفسطاط مارًا بقطية وفاقوس والفرما والعريش ورفح وغزة(١) . أما الطريق إلى دمشق فيبدأ من الفسطاط إلى بلبيس ثم الفرما فالرملة ومنها إلى طبرية فدمشق(٢) .

وعن طريق بادية الشام تصل القوافل إلى بغداد ، فمن دمشق إلى حمص فحماة فقنسرين فحلب فالرقة ، ومنها إلى نصيبين فالموصل ومنها إلى بغداد(٣) .

---

(١) راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية فى عهد الفاطميين ص٢٩٣ القاهرة ١٩٤٨م .

(٢) المقريزى : خطط جـ١ ص٢٢٧ (كان فى سيناء منذ أمد بعيد طريقان تجاريان وحربيان يصلان بينها وبين الشام وجزيرة العرب وهما طريق الفرما على شاطئ البحر المتوسط إلى الشام فالعراق ، وطريق العريش ماراً بقطية والعريش إلى الشام فالعراق : سعاد ماهر : محافظات الجمهورية فى العصر الإسلامى ص١٨٤ فصلة من مجلة كلية الآداب / جامعة القاهرة : المجلد ٢١ - العدد الأول ١٩٥٩م) .

(٣) الادريسى : نزهة المشتاق ص١٢٣ والمسافة من القلزم إلى أرض العراق فى البرية نحو من شهر . الاصطخرى : مسالك الممالك ص٦ ليدن ١٩٦٧م .

الطريق البرى بين مصر والشام :

يمتد هذا الطريق من الأسكندرية ، ودمياط وتنيس ، وبعد مغـادرة السـاحل الشمالى لمصر ، تسير المراكـب بحـذاء الشـاطئ ، مـارة بعسـقلان وقيسـارية ويافـا وحيفا ، وعكا وصور وصيدا وطرابلس الشام واللاذقية(١) .

ويبدو أن التجار كانوا يفضلون طريق البحر لقلة تكاليفه ، كما أن الطريـق البرى كان يعترضه قطاع الطرق(٢) ، وقبائل البدو التـى كثيراً مـا كـانت تهـاجم القوافل .

أما الطريق إلى بلاد الحجاز فكان أحدهما بحرى والآخر برى .

(أ) الطريق من عيذاب إلى جدة :

كان الحجاج الذيـن يسـافرون للحـج بطريـق البحـر مـن عيـذاب إلى جـدة يجدون مشقة كبيرة فى هذا الطريق ، لما فيه من أخطار ، فضلاً عما يقوم بـه أهـل عيذاب من نقل الحجاج فى الجلاب (المراكب) حتى يجلس بعضهم عى بعـض ، ويبالغ أصحاب الجـلاب (المراكـب) فـى الرسـوم التـى يتقاضونهـا نظـير نقلهـم

---

(١) البكرى المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ص ٨٥

(2) Mann (Jacob) : the Jews in Egypt . P . 103

يذكر (مان) أن أحد اليهود تعرض للسلب وهو فى طريقه إلى بيت المقدس بعـد مغادرته دمشق ، وأن لم يمنع هذا أن السفر بالبحر لم يكن آمناً كل الآمان ، حيث كـانت أخطـار القرصنة منتشرة فى ذلـك العصر ، وكـان القراصنـة يجعلـون مـن الجـزر الموجـودة بـالبحر المتوسط قواعد ينطلقون منها ثم يعودون بالغنائم والأسلاب .

Philp Gosse : The History of Piracy . P. 1 (London 1932),
Newbegin (Marion) Mediterranean land an introduction Study in human and Historical Geography . P.P. 66 - 67 (London 1907)

الحجـاج حتى أن صـاحب المركب يستوفى منهم ثمنها فـى السـفرة الواحـدة ، ولا يبالى بما يصنع البحر بها ، ويقولون " علينا بالألواح وعلى الحجاج بالأرواح " وتقلع المراكب من عيذاب إلى " عقبة أيلة " ومنها إلى جدة(١) .

(ب) أما الطريق البرى :

فيمر بالطور إلى الحجاز وبعـد الفتـح الإسـلامى قـام منهـا " طريـق الحـج " يخترق التيه إلى الحجاز(٢) .ومن يريد الرحيل إلى مكة من مصر يلزمـه الاتجـاه نحـو المشـرق إلى القلزم(٣) .ومنها إلى أيلة ومنها إلى العقبة العظمى ومنهـا إلى حجـز بحـر القـلزم(٤) . ثـم إلى حقـل (بـئر مـاء) إلى برمديـن إلى عيـون القصـب إلى المويلحه(٥)، ثم إلى الأزلم ومنها إلى الوجه (على ساحل البحر) إلى الحوراء ومنها إلى نبط(٦)، فالدهناء ومنهـا إلى بدر وبها الجـار (مينـاء المدينـة) ثم إلى رابـغ (ميناء على ساحل البحـر) إلى مليـص(٧) إلى بطـن مـر(٨) ومنهـا إلى مكـة(٩) ،

---

(١) ابن جبير: رحلة ابن جبير ص٤٣ ، ص٤٤ ،ص٤٦ ، ص٤٧ ، ص٤٨ تحقيق حسين نصار.

(٢) سعاد ماهر : محافظات الجمهورية ص٨٤ فصلة من مجلة كلية الآداب / جامعة القاهرة .

(٣) ناصر خسرو : سفر نامه ص ٤٥

(٤) حجز بحر القلزم : هى جبال الحجاز ، سميت بذلك لأنها حجزت بين الشام ونجد . ياقوت الحموى : معجم البلدان حـ٣ ص٢١٨

(٥) المويلح حالياً وتقع على شاطئ البحر الأحمر إلى الشمال من جدة .

(٦) نبط : جبل بطريق مكة .

(٧) مليص : موضع بديار بكر بلفظ التصغير (اسما لروض) ياقوت الحموى : معجم حـ٨ ص ١٥٧

(٨) بطن مر : من نواحى مكة ياقوت : حـ٢ ص٢٢٠

(٩) السيوطى : حسن المحاضرة حـ٢ ص٢١٩ – ٢٢٠ مطبعة الوطن ١٢٩٩ هـ .

ويبلغ طول هذا الطريق ثلاثمائة فرسخ (تسعمائه ميل) قطعها ناصر خسرو فى خمسة عشر يوماً(١) .

الطرق التجارية بين مصر والبلاد الأوربية :

(أ) الطريق البحرى من غرب أوربا إلى المشرق ماراً بمصر :

كان يستغل هذا الطريق تجار اليهود الذين يأتون من مقاطعة بروفانس (بلاد الغال) ويسميهم المسلمون فى ذلك الوقت " تجار البحر"(٢) وكانوا يتكلمون العربية والفارسية واللاتينية والصقلبية ، ويجلبون من الغرب الديباج والفراء والسيوف ، ويبدأ هؤلاء رحلتهم التجارية م بروفانس (غالة) وترسو سفنهم عند الفرما ، ثم يحملون تجارتهم على الدواب إلى القلزم (وهى ميناء السويس الحالية)(٣) . ومن القلزم تنقل عبر البحر الأحمر مارة بموانيه الهامة مثل جدة ثم يمضون إلى السند والهند والصين ، ويحمل التجار فى عودتهم سلع المشرق كالمسك والعود والكافور وغير ذلك . فإذا وصلوا إلى القلزم اتجهوا إلى الفرما أو

---

(١) ناصر خسرو : سفر نامة ص ٤٥ . وكان الحجاج يفضلون السفر بطريق البر تجنباً لأخطار البحر الأحمر الذى يصفه الكتاب العرب بأنه ملئ بشعاب المرجان ، عنيف الرياح شواطئه مجدبة ، وتحتاج الملاحة فيه إلى دليل محنك ، ولا بد من القاء المراسى فى الليل . جورج فضلوا حورانى : العرب والملاحة فى المحيط الهندى ص٢٣٤ - ٢٣٥

(٢) ابن الفقيه الهمذانى : كتاب البلدان ص٢٧٠

(٣) محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق ص ١٤٨ - ١٤٩

الأسكندرية ومنها إلى بروفانس(١) . وربما عدل فريق منهم بتجارتهم إلى القسطنطينية فباعوها للروم(٢) .

(ب) الطريق البرى من غرب أوربا إلى الشرق :

ويبدأ هذا الطريق من بلاد الأندلس إلى طنجة عبر مضيق جبل طارق مجتازاً المغرب الأقصى والأوسط والأدنى عن طريق إفريقية (تونس الحالية) حتى يصل إلى مصر ، ثم يتجه إلى بلاد الشام ماراً بالرملة ودمشق ثم العراق ماراً بالكوفة وبغداد والبصرة ثم إلى فارس ماراً بالأهواز ثم إلى كرمان والهند والصين(٣) .

الطرق التجارية بين مصر والبلاد الآسيوية :

(أ) الطريق من مصر إلى الهند والصين : كان البحر الأحمر بداية الطريق المؤدى من مصر إلى الهند والصين . وكانت اليمن فى نهاية البحر الأحمر من جهة الجنوب(٤) ، ومن اليمن إلى عدن وكانت عدن الميناء الرئيسى للسفن القادمة من هذا الطريق وتوصف بأنها " دهليز الصين "(٥) .

---

(1) Heyd : Histoire du Commerce du levant au Moyen Age .Tome , 1 , p. 41 (Leipzig 1923) .

(٢) آدم متز : الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى حـ٢ ص٢٧٣

(٣) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ١٥٤ - ص١٥٥

حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسى حـ٣ ص ٥١٢

(٤) قدر ابن حوقل المسافة من القلزم إلى اليمن بنحو ثلاثين مرحلة .

صورة الأرض ص ٤٤ ليدن ١٩٦٧م .

(٥) المقدسى : أحسن التقاسيم ص٣٤

وكـان الطريـق البحـرى إلى الصـين(١) خاضعاً لما يقتضيه هبـوب الرياح الموسمية التى تستطيع السفن أن تسير معها دون حاجة إلى استخدام البوصلة(٢). ومن ذلك نعلم أن السفن كانت تسير بحذاء ساحل الهند ويتجهون من مسقط إلى ميناء كولم ملى (كولام : كويلون الحالية)(٣) وذلك فى نحو شهر ، ثم يواصلون سيرهم جاعلين جزيرة سرنديب(٤) إلى يمينهم ويقصدون جزائر كله بار (نيكوبار)(٥) ومنها إلى ملقا(٦) ثم تواصل المراكب سيرها إلى أبواب الصين(٧) فإذا جاوزت السفينة الأبواب

---

(١) وقد وصف هذا الطريق فى كتاب سلسلة التواريخ وعلق عليه رينو **Rainaud** على الذيل الذى كتبه سليمان التاجر وأبو زيد الحسن السيرافى فى كتابه المسمى **Relation des Voyages** : طبعة باريس ١٩٤٥ ص١٦ وما يليها وابن خرداذبه المسالك والممالك ص٦١ وما بعدها وآدم متز : حـ٢ ص ٣٢٧ .

(٢) كانت الإبرة المغناطيسية **Magnatic Needle** معروفة فى الصين منذ أقدم العصور ولكن لم يرد ذكر لاستعمالها بوصلة بحرية **Compass** قبل نهاية القرن الحادى عشر الميلادى فقد ذكر عندئذ أنها تستعمل فى سفن العرب والفرس التى تشتغل بالتجارة بين كانتون وسومطرة والهند ومن المحتمل أن استعمالها بوصلة بحرية انتقل من الشرق الأقصى إلى البحر المتوسط على يد العرب أيام الحروب الصليبية .

جورج فضلو حورانى : العرب والملاحة فى المحيط الهندى ص ٢٨٤ ترجمة السيد يعقوب بكر .

(٣) سلسلة التواريخ ص ١٥ ، آدم متز : حـ٢ ص ٣٢٧

(٤) سرنديب : سيلان أو سيريلانكا حالياً .

(٥) سلسلة التواريخ ص ١٨ ، آدم متز : نفسه والمسافة نحو شهر .

كله بار : كله معناها الساحل وبار هى مملكة الزابج متيامنة عن بلاد الهند .

(٦) سلسلة التواريخ ص ١٩ ، متز : نفسه .

(٧) أبواب الصين : جبال فى البحرين بين كل جبلين فرجة تمر منها المراكب سبعة أيام .

ترسو فى الموضع المسمى خانفو (كانتون الحالية) إلى الجنوب من مدينة شنغهاى[١] التى تعد من أكبر المراكز التجارية[٢].

وكانت السفن الإسلامية[٣] تغادر كانتون شمالاً إلى ميناء خانجو على مسيرة ثمانية أيام ومن خانجو إلى قانصو[٤] مسيرة عشرين يوماً حيث بلاد الشيلا وفيها الذهب الكثير ومن دخلها من المسلمين استوطنها لطيبها[٥] .

وكانت الرحلة إلى بلاد الصين تستغرق أربعة أشهر عدا فترات التوقف فى الموانى[٦] وكانت تبدأ عادة فيما بين شهرى نوفمبر وديسمبر[٧] ، أما فى رحلة

---

(١) سلسلة التواريخ ص٢٠ – ص٢١

وكان المسافر يسير مع ساحل الصين وحده شهرين وكان لابد من انتظار الرياح الطيبة حيث تسود هذه المنطقة الرياح الموسمية . أما فى العودة فكان الناس يسيرون أربعين يوماً من تسوان تشو إلى آتيا (على الطرف الشمالى الغربى من جزيرة سومطرة) وكانوا يتاجرون هناك ثم يعودون إلى البحر فى العام التالى بمعاونة الرياح العادية ويقول آدم متز " هذا على الأقل ما حكاه تشاو جوكوا فى القرن ١٢ ص ١١٤ " الحضارة الإسلامية جـ٢ ص ٣٢٧

(٢) سلسة التواريخ ص ٣٤ ، جورج فضلو حورانى : العرب والملاحة ص٢١٦

(٣) لا تذكر المصادر الصينية والعربية جنسيات السفن ولكنها تطلق عليها جميعاً السفن الإسلامية .

(٤) قانصوا وقانطوا وهانجتشو Hangchow آخر بلاد الصين .

انظر دائرة المعارف الإسلامية : مادة الصين .

(٥) الشيلا : هى كوريا وليست اليابان كما زعم رينو ، وإن كان سليمان التاجر وأبو زيد السيرافى كتبها بالسين ، ولكنها فى المروج جـ٣ ص ٦ الشيلا .

جورج فضلو حورانى : العرب والملاحة ص ٢١٥

(٦) جورج حوارنى : نفس المراجع ص ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١

(٧) المصدر السابق نفسه .

العودة فقد كانت تستغرق وقتا أطول حتى تصل رحلة الذهاب والعودة إلى مدة عام ونصف(١) .

(ب) الطريق إلى الهند : وكان أمام السفن طريقان إلى الهند . فترسو فى صحار ومسقط(٢) للتزود بالماء ، ثم تمخر المحيط الهندى مباشرة إلى كولم ملى (كويلون Quilon) فى جنوب مالابار(٣) . وهذا هو الطريق الطويل إلى الصين حيث كانت السفن تقطع الرحلة على طول السواحل مارة بجزيرة قيس(٤) وهرمز القديمة وتيزمكران والديبل(٥) والمنصورة وغيرها من موانى السند(٦) .

وكانت بعض سفن الهند والصين بعد وصولها إلى المحيط الهندى عند المدخل الجنوبى للبحر الأحمر والخليج الفارسى ، تمر بموانى عديدة على ساحل جزيرة العرب الجنوبى وأشهرها ظفار وعدن ، ثم تصعد فى البحر الأحمر إلى جدة أو ثغر

---

(١) المصدر السابق نفسه .

(٢) وهما ميناءان على ساحل عمان .

(٣) حورانى : العرب والملاحة ص ٢٠٨ ، ٢١١ وكان لساحل مالابار أهمية اقتصادية لدى المسلمين ، فقد كان مصدر خشب الساج الذى تصنع منه البيوت والسفن .

(٤) قيس : يسميها ابن خرداذبة ص ٦٢ " كيس " بالسين ، وفى المعجم : كيش بالشين . حورانى . العرب والملاحة ص٢٠٨ .

(٥) الديبل : تقع عند مصب نهر السند ، وكان العرب يتبادلون فيها البضائع مع التجار الهنود الذين يجلبون سعلهم من داخل الهند والمدن المجاورة .
جمال سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية ص ١٤٨ .

(٦) حورانى : العر والملاحة ص٢٠٩ .

عيذاب على الشاطئ المصرى ، وبهذا الطريق كان ينقل جانب من بضائع الشرق إلى مصر والشام(١) .

الأسواق الداخلية : ساعدت الأسواق التى كانت تقام فى أنحاء البلاد المصرية على نشاط حركة التجارة الداخلية فى تلك البلاد ، حيث كانت تتم فى هذه الأسواق عمليات البيع والشراء فى السلع العادية التى يحتاج إليها الناس . وكانت الأسواق إما أن يبينها الناس أو الدولة(٢) . إذ كانت الحياة الاقتصادية فى جميع مدن العالم العربى تدور حول الأسواق و المصانع ، وتقع غالباً بالقرب من منطقة الجامع الكبر للمدينة(٣) .

---

(١) قسطنطين رزيق : التجارة الإسلامية وأثرها فى الحضارة ص ٥٤٤ المقتطف ديسمبر ١٩٣٥م وكانت سفن الهند تصل إلى عدن ومنها إلى سواكن ثم مصر والمغرب ولكن أحياناً كانت السفن تسير مباشرة من الهند إلى سواكن دون أن تمر بعدن وربما كان ذلك نظاماً بحرياً متبعاً فى ذلك الوقت أو بسبب حالة البحر ، وقد يكون أيضاً للتهرب من الضرائب التى كانت تؤخذ على سفن الهند هناك .

Goitein : Studies on islamic History . P. 355 (Leydn 1966)

ابن مخرمة : تاريخ ثغر عدن حـ٢ ص ١٧ ليدن ١٩٣٦م .

(٢) عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى ص٩٩ سنة ١٩٦٣م وكلمة بازار : معناها السوق وهى فى الفهلوية " فاجار " وفى الفارسية " أبا جارى " . والبازار : مجموعة من الدكاكين فى شارع مسقوف من الخشب أو الحجر وله بابان يقفلانه من طرفيه : دائرة المعارف الإسلامية مادة بازار ويقول بارتولد : " إن ميدان التجارة لم يكن داخل المدينة ، بل خارجها بجانب الباب ، وتدل على ذلك كلمة بازار ومعناها عمل بجانب الباب . تاريخ الحضارة الإسلامية ص ٣٤ ترجمة / حمزة طاهر .

(٣) حسن حسنى عبد الوهاب : ورقات فى الحضارة العربية القسم الثانى ص ٦٨ تونس ١٩٦٦م .

وقد اعتاد المسلمون أن يتخذوا مساكنهم على مقربة من أماكن عملهم(١). ومما يجدر ذكره أن أول من نظر فى ترتيب اسواق التجارة فى المدن الإسلامية الكبرى وأمر بترتيبها الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك(٢) .

وكانت معظم الأسواق مبلطة وإذا لم تكن على هذه الحال ينشأ لها افريزان على جانبيها يخصصان لمسير الناس(٣) . كما أن أغلبها كان مسقفاً ، ويضاء بعضها ليلاً ونهاراً بالقناديل بسبب تعذر وصول الضوء إلى داخلها(٤) .

وكانت الحكومة الفاطمية تصدر المراسيم التى تتضمن تعليق المصابيح على جميع الحوانيت وأبواب الدور والأسواق فى جميع طرقات القاهرة والفسطاط ، فأمر الخليفة العزيز با لله سنة ٣٨٣هـ / ٩٩٣م بمراعاة ذلك(٥) . وأحدث الخليفة الحاكم أمر ا لله فى أوائل عهده تغيراً على نظم الحياة المصرية . فصارت جميع الأعمال والمعاملات التجارية تؤدى ليلاً(٦) .

---

(١) عبد المنعم ماجد : نفس المرجع ص١٠٠ .

(٢) حسن حسنى عبد الوهاب : نفس المرجع ص ٦٩ .

(٣) الشيزرى : نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ص ١١ تحقيق / السيد الباز العرينى .

(٤) ناصر خسرو :سفر نامه ص ٥٨ .

(٥) المقريزى : خطط حـ٢ ص١٠٨ وكان من رسم أرباب الحوانيت أن يعدوا عند كل حانوت زيرا مملوء بالماء مخافة أن يحترق مكان فيطفأ بسرعة .

القلقشندى : صبح الأعشى حـ٣ ص ٥٢٢ ، المقريزى : نفسه حـ٢ ص ٢١٩ .

(٦) جمال سرور : الدولة الفاطمية فى مصر ص ٩١ ، ٩٢ .

ولقد ضاقت أسواق المدن المصرية بالدكاكين واكتظت بالوافدين عليها ، مما أضطر القائمين عليها إلى العمل على توسيع مساحتها(١) . وازداد نشاط الحركة التجارية تبعاً لذلك .

ولما كانت التجارة الداخلية مركزها الأسواق ، لذلك كثرت اقامتها فى المدن التجارية الهامة . وكان القاهرة فى العصر الفاطمى عدة أسواق تركزت أغلبها حول أبوابها الرئيسية ومن أشهرها :

سوق الشرايحيين : وهو أول سوق أنشئ بالقاهرة سنة ٣٦٥هـ/٩٧٥م ويمتد من باب حارة الروم إلى سوق الحلاويين(٢) ، واقام بدر الجمالى وزير الخليفة المستنصر با لله الفاطمى ، سوق أمير الجيوش ، على حارة برجوان ، وقد عرف فيما بعد بسوق حارة برجوان(٣). وكذلك سوق القماحين ، ويقع على مقربة من الجامع الأقمر الذى بناه الوزير المأمون البطائحى للخليفة الآمر بأحكام ا لله(٤) . وقد تغير اسم هذا السوق وأصبح يعرف بسوق الشماعين ، وكان يتوافد عليه عدد كبير من أهالى القاهرة فى شهر رمضان لكثرة ما يشترى منه الشموع الكبيرة التى تزن الواحدة منها القنطار(٥) .

كذلك كانت هناك سويقة الوزير : وتنسب للوزير يعقوب بن كلس وزير الخليفة العزيز با لله وكانت على باب داره ، ثم صارت بسويقة دار الديباج ، وقد

---

(١) سليمان مصطفى زبيس : المامة عن أحوال القاهرة الاقتصادية وعلاقاتها مع الخارج ص ٥٩١ من أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة الجزء الثانى مارس - إبريل ١٩٦٩م .

(٢) المقريزى : خطط حـ٢ ص ١٠٠ .

(٣) المقريزى : نفسه حـ٢ ص ٩٥ ، ص١٠١ .

(٤) نفس المصدر حـ٢ ص ٩٥ .

(٥) نفس المصدر حـ٢ ص٩٦ ويقول المقريزى أنه أدرك سوق الشماعين معمور الحوانيت .

عرفت فى أواخر الدولة الفاطمية بالسوق الكبير(١) ، وكذلك سويقة أمير الجيوش وتنسب أيضاً لبدر الجمالى ، وكانت شارعاً من شوارع القاهرة يسلك فيه من بين القصرين وباب الفتوح وباب النصر(٢) .

وهذا فضلاً عن سوق الخشابين والحدادين والحجارين والسراجين والطيوريين والوارقين والجوخيين والقشاشين والسيوفيين وسوق الصاغة القديم(٣).

أسواق الفساط : أما أسواق الفسطاط فإنها ظلت على نشاطها التجارى مع قيام أسواق القاهرة ، بل إن الرحالين يؤكدون احتفاظ الفسطاط بمكانتها التجارية بسبب موقعها على شاطئ النيل أما القاهرة فكانت بعيدة عنه(٤) ومن أشهر أسواقها ازدحاماً سوق القناديل وكانت هذه السوق خارج المدينة ، وظل هذا السوق عامراً حتى عهد المنتصر با لله الفاطمى حيث كانت تباع فيه جميع أنواع السلع(٥) كذلك كانت هناك سوق تسمى " دار الانماط " تباع فيه الأقمشة التى كانت تصنع بالفسطاط والتى كانت ترد إليها من مدن مصر التى

---

(١) نفس المصدر حـ٢ ص ١٠٤

(٢) نفس المصدر : حـ٢ ص ١٠٠

(٣) المقريزى : نفسه حـ١ ص ٣٧٣

(٤) جورجى زيدان : تاريخ التمدن الإسلامى حـ٢ هامش ص ١٨٤

(٥) ناصر خسرو : سفر نامة ص ٥٩ - ٦٠ ويقال زقاق القناديل نسبة إلى قنديل على باب جامع عمرو . ابن دقماق : الانتصار لواسطة عقد الامصار حـ٤ ص ١٣ ويقول زكى محمد حسن أن تسمية السوق نسبة إلى بيع المصابيح فيه إنما منشأ هذه التسمية كما نبه إليها الأستاذ فييت أن سكان هذا الحى كان لكل منهم قنديل معلق على باب داره ، ولا ينفى هذان المصنوعات الزجاجية كانت تباع فيه .كنوز الفاطميين ص١٨١ .

اشتهرت بصناعة النسيج(١) ، كما كان هناك رباط يسمى " رباط الوزير " لا يباع فيه سوى "القصب" وفى الدور الأسفل يجلس الخياطون ، بينما يجلس فى الدور الأعلى الرفاؤن(٢) .

على الرغم من ضيق أسواق الفسطاط بحوائجها ، والروايا التى على الجمال(٣) فإن بعضها كان بمعزل عن الآخر ، ويطلق عليها اسم أرباب الحرفة أو الصفة التى تباع فيها مصنوعاتهم(٤) . فيقال مثلاً : سوق النحاسين ، والعيارين ، والبزازين والوراقين والعطارين وسوق الغزل(٥) .

وكان بالفسطاط أسواق عامرة بالأخشاب منذ العصر الطولونى ، وكانت معظم الأخشاب ترد إلى ديوان الحراج بالفسطاط فيبيعها للتجار ، حيث تستغل فى الصناعات الخشبية المختلفة أو تستخدم لبناء سفن الأسطول(٦) .

اهتم الخلفاء بأمر الأسواق . حتى أن الخليفة الحاكم بأمر الله أمر ألا تغلق الأسواق ليلاً أو نهار(٧) . وكانت هناك عدة قوانين وقواعد تحكم حركة البيع

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٠٠ - ١٠١ ليدن ١٩٢٠ م .

(٢) ناصر خسرو : سفر نامة ص٦٣

(٣) ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ص ٦ تحقيق / زكى محمد حسن .

(٤) على بهجت : حفريات الفسطاط ص ٣٧

(٥) ابن دقماق : الانتصار جـ٤ ص ٣٢ ، ص ٣٤ ، ص٤٩ ، ص ٥٠

(٦) المقريزى : خطط جـ٢ ١٣٣ ، ص١٣٥

(٧) ابن ايبك الدواداري : كنز الدرر وجامع الغرر الجزء السادس من الدرة المضية فى أخبار الدولة الفاطمية ص٢٦٧ ، ٢٦٩ ويذكر أنه فى سنة ٣٩٣ هـ / ١٠٠٠م وقع بمصر برداً عظيماً (ثلج) حتى صار ارتفاعه على الأرض ما يزيد عن شبر وبيع على الدواب كما يباع فى الشام .

والشراء فى أسواق الفسطاط فيذكر الكندى أن قاضى الفسطاط كـان لا يقـر فـى البيع " خيار العيب " (وهو حق المشترى فـى اعـادة السـلعة واسـترجاع ثمنهـا إذا وجد بها عيباً) حيث أن حجته فى ذلك أن للمشترى عيناً يبصر بها مـا يشـتريه ، ومن المعروف فى الفقه الإسلامى أن هناك ثلاث خيارات للمشترى الأولى " خيـار الرؤيا " والثانية " خيار العيب " والثالثة " خيار المذاق "(١) .

وكانت المدن والقرى المصرية لا تخلو من الأسواق ، فمنهـا مـا هـو دائـم ، ومنها ما يقام كل أسبوع ومن أشهرها أسواق اتريـب(٢) التـى اشـتهرت بالعسـل الموصوف والذى كان يجلب من بنها(٣) وأسواق منوف(٤) وطنطا(٥) وسخا(٦)، التى حفلت أسواقها بالكتان وزيت الفجل والقمـح(٧) ودمنهـور(٨) ، وذكـر ابـن جبير(٩) برمة من أعمال دمنهور وسوقها عامر بالمرافق، وكانت اشموم طنـاح ذات

---

(١) الكندى : الولاة والقضاة ص ٣٤٥ ليدن ١٩١٢م .

(٢) اتريب : مركز بنها محافظة القليوبية .

(٣) اليعقوبى : البلدان ص ٣٣٧ ليدن ١٨٩٢م .

(٤) وهى منوف العليا : سعاد ماهر : محافظات الجمهورية ص ١١١

(٥) طنطا : هو الاسم المصرى القديم لهذه المدينة وذكرها ابن حوقـل باسـم طندتـا والادريـس باسم طنطنة سعاد ماهر : نفسه ص١١٥ وهى الآن أحدى مراكز محافظة الغربية .

(٦) سخا : من أعمال الغربيـة : محمـد رمـزى القـاموس الجغرافى ص ١٤١ الجـزء الأول مـن القسم الثانى وإن كانت سخا حالياً احدى مدن محافظة الدقهلية .

(٧) سعاد ماهر : نفس المرجع ص ١٢٢

(٨) دمنهور : اسمها المصرى Deomn Hor – أى مدينـة الالـه حـور ومنهـا الاسـم القبطـى والعربى وكانت عامرة وبها حمامـات وفنـادق وقياسـر : سـعاد مـاهر ص١٣٤ وهـى الأن بمحافظة البحيرة .

(٩) رحلة ابن جبير ص ١٢ وهى الآن من قرى مركز طنطا بمحافظة الغربية .

حمامات وأسواق(١) ، وكذلك أسواق ميت غمر(٢) . وكانت بترنوط الأسواق ومعاصر السكر(٣) ، كما كان بالأسكندرية أسواق متخصصة ، فتباع التوابل بحى خاص يسمى شارع الفلفل(٤) ، وكذلك اشتهرت قرية اليشمور من أعمال دمياط بالقمح اليوسفى المجزع ، وبأنواع ممتازة من الكباش(٥) ، وكان برشيد أسواق صالحة وحمامات(٦) . كما كان باحدى بلاد الفيوم التى تعرف بموية سوق يقام يوم الخميس يبيع فيه العطارون سلعهم(٧) . وكانت أسواق الاشمونين والحميم واهناس بوصير تعرض منتجات الحرير والكتان(٨) . وفى منتصف الطريق من مصر إلى قوص موضع يعرف بمنفلوط عامر بالأسواق(٩) .

كذلك اشتهرت أسوان بسوقها الذى يتميز بنشاط حركة البيع فيه طول أيام السنة وقد غلب على كل سوق من أسواق أسوان صفة التخصص ببيع أصناف معينة من البضائع وكان من محاسن هذا النظام أن التاجر لا يستطيع أن يشذ عن جيرانه يرفع سعر السلعة التى يتاجر فيها ، لأن منافسيه على مقربة منه ،

(١) أبو الفدا : تقويم البلدان ص ١١٨ - ١١٩

(٢) سعاد ماهر : محافظات الجمهورية ص ١٢٤

(٣) البكرى : المغرب ص٢ الجزائر ١٨٥٧م ومكانها اليوم كوم بللو مركز كوم حمادة محافظة البحيرة . محمد رمزى : القاموس الجغرافى ص ٣٣١ الجزء الأول من القسم الثانى .

(٤) عطبة القوصى : تجارة مصرفى البحر الأحمر ص ١٧٩ رسالة دكتوراة / جامعة القاهرة .

(٥) اليعقوبى : البلدان ص ٣٣٢ ليدن ١٨٩٢م .

(٦) سعاد ماهر : نفس المرجع ص ١٣٦

(٧) النابلسى : تاريخ الفيوم ص٦٩ المطبعة الأهلية ١٨٩٨م .

(٨) اليعقوبى : البلدان ص ٣٣١ ، المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٢٠٣ ، الاصطخرى : مسالك الممالك ص ٥٣ ليدن ١٩٦٧

(٩) ابن جبير : رحلته ص ٣١

كما أن المشترى إذا لم يرقه صنف السلعة فإنه يستطيع أن ينتقل بسهولة من متجر إلى آخر ، وإن كان من عيوب هذا النظام أن المشترى إذا أراد شراء أصناف مختلفة فعليه أن يجوب المدينة طولاً وعرضاً(١) .

أما قرى أسوان فأقيم بها أسواق محلية تعقد مرة كل أسبوع ، وهى صورة مصغرة لسوق المدينة الأسبوعى ، ويجتمع بائعو كل صنف فى ركن من أركان السوق ، ولهذا سهل على المشترى تمييز كل سلعة عن الأخرى ، وفى أسواق قرى أسوان كان البائعون لا يزالون يفترشون الأرض(٢) .

مراكز التجارة الخارجية :

الأسكندرية : تعتبر هذه المدينة من أهم مراكز التجارة الخارجية فى مصر فى العصر الفاطمى فكانت مركزاً من مراكز الرحلة(٣) . وكانت أعمر موانى البحر المتوسط ومحطة تجار العالم(٤) فقد ذكر المقريزى أن أسواقها وشوارعها كانت مضطرة لا يصيب أهلها شئ من المطر(٥) .

---

(١) محمود على الحويرى : أسوان فى العصور الوسطى ص١٢٧ - ١٢٨ رسالة ماجستير / جامعة القاهرة .

(2) Klunzinger : Upper Egypt its People and its Products . p. 33 (London 1878)

(٣) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الأسكندرية وحضارتها فى العصر الإسلامى ص ٣ دار المعارف ١٩٦٩م .

(٤) وخاصة التجار اليهود الرذانية القادمين من مرسيليا وبريتانى

Jeorg Monks: the church of Alexandria . p. 349 (Speculum XXVIII- April 1953)

(٥) المقريزى : خطط حـ١ ص١٥٠ طبعة بيروت ١٩٥٩م .

ازدهرت الأسكندرية فى العصر الفاطمى ، فكانت المراكب تبحر منها قاصدة بعض بلاد البحر المتوسط حتى أصبحت فى ذلك العصر مركزاً هاماً للحركة التجارية(١) ، وساعد موقعها فى أن تصبح مركزاً رئيسياً للتجارة بين الشرق والغرب ، فكانت تنقل منها التجارة الآتية من الشرق إلى أوربا(٢) . كما ترد إليها السفن الأوربية محملة بالسلع اللازمة للصناعة المصرية . و لم تكتف مصر بأن تكون طريقاً لمرور الغلات الآسيوية ، بل كان لديها ما تصدره إلى البلاد الأوربية كالنطرون والشب والمنسوجات على اختلاف أنواعها(٣) .

وكان من نتائج العلاقات الطيبة بين الدولة الفاطمية ودول أوربا أن راجت التجارة بالأسكندرية وازدهرت(٤) . وخاصة فى القرن السادس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) بسبب ورود التجار الأجانب(٥) . فقد شاهد بنيامين التطيلى الذى زار مصر سنة ٥٥٥هـ / ١١٦٠م فى ميناءها سفناً تنتمى إلى تسع وعشرين دولة فهى فى نظره " سوق لجميع الشعوب "(٦) ويطلق عليها شارل ديل اسم " سوق العالمين "(٧) .

---

(١) المقريزى : خطط حـ١ ص ٤٢٨ طبعة بولاق ١٢٧٠هـ ، جمال سرور : الدولة الفاطمية فى مصر ص ١٥٠ ، شارل ديل : البندقية جمهورية ارستقراطية ص ٥٨

(2) Heyd : Histoire du commerce . Tome , 1 , P. 41 .

(٣) جمال سرور : نفس المرجع ص ١٥٨

(4) Wiet (Gaston) : L Egypte Arabe . T , IV . P 306 .

(5) Ashtor (Eliyahu) : Materiaux pour L'Histoire des pr1x dans L'Egypte .p.118 (J.E.S.H.O.V.V1.part 1. 1963) .

(6) Beazley : Dawn of modern Geograaply . vol , 11. p.p.261-263 (1897) .

(٧) شارل ديل : البندقية جمهورية ارستقراطية ص٣٢

وكان الشارع الرئيسى للمدينة ممتداً من الشرق إلى الغرب ، وإلى جوار الميناء يقع أكثر أجزاء المدينة سكاناً ، والحى التجارى بها[١] ، وفى شمال المدينة يوجد الفنار الذى تفيد منه السفن التجارية[٢] .

تعرضت الأسكندرية لبعض النوائب فى العصر الفاطمى ، فظلت فترة فى أيدى جند السودان أثنا ثورتهم سنة ٤٦٠هـ / ١٠٥٩م كما تأثرت بالثورات التى نشبت فى عامى ٤٧٩هـ ، ٤٨٧هـ ، ١٠٨٦ ، ١٠٩٤م وحاصرتها جنود شاور وزير الخليفة العاضد وجنود الملك آمورى (عمورى) ملك بيت المقدس واسطول بيزا سنة ٥٦٢هـ / ١١٦٧م[٣] إلا أن هذه الأحداث لم تؤثر تأثيراً جدياً فى مركز ورخاء المدينة .

الفرما : كانت الفرما[٤]والفرماء مدينة على شط بحيرة تنيس ، بينها وبين مدينة تنيس أقل من ثلاثة فراسخ[٥] (تسعة أميال) وهى من موانى الساحل الشمالى لمصر وكان لها شأن كبير فى العصر الفاطمى ، فكانت محطة لتجار أوربا، ومنها كانوا يتوجهون إلى القلزم لركوب البحر وقال عنها المقدسى " كانت عامرة آهلة ، ولها أسواق وهى مجمع الطرق[٦] ".

---

(1) Depping : Histoire du commerce entre le levemt et l'Europe .
Tom , 1.p.p.62 -633

(٢) عطية القوصى : تجارة مصر فى البحر الأحمر ص٣٥ رسالة دكتوراه .

(٣) دائرة المعارف مادة الأسكندرية .

(٤) كان اسمها القديم " برآمن " أى مدينة الآله آمون ومنه اسمها العبرى " برمون " والقبطى " برما " ومنه اسمها العربى الفرما ، وتعرف اليوم بتل الفرما ، على بعد ثلاثة كيلو مترات عن ساحل البحر. محمدرمزى : القاموس الجغرافى ص٩١-٩٢. القسم الأول من الجزء الأول.

(٥) ابن حوقل : صورة الأرض ص ١٦٠ ، المقريزى : خطط حـ١ ص ٣٤١

(٦) أحسن التقاسم ص ١٩٥

كذلك كانت تجارة الشرق التى تصل إلى القلزم تحمل منها إلى الفرما ، حيث تنقلها سفن البحر المتوسط إلى سواحل الشام وآسيا الصغرى(١) .

ومما يجدر ذكره أن الفرما تأثرت من جراء إهمال الطريق بين البحر المتوسط والبحر الأحمر عبر برزخ السويس ، وقد استمرت هذه المدينة قائمة حتى منتصف القرن الثامن الهجرى(٢) .

القلزم :

كان لهذا الميناء أهمية كبيرة بالنسبة لحركة التجارة بين أوربا والشرق ، فيذكر ابن خرداذية(٣) أن " التجار اليهود كانوا يأتون من بلاد الفرنج قاصدين مصر ، فينزلون الفرما ثم يعبرون برزخ السويس(٤) إلى القلزم(٥) ومنها يركبون

(١) جمال الدين الشيال : مجمل تاريخ دمياط ص ٨ .

(2) Maspero et wiet : Materiaux pour sirvir à la Geographie de l'Egypte . p.134 (le caire 1919) .

(٣) المسالك والممالك ص ١٥٤ - ١٥٥

(٤) السويس : بصيغة التصغير كما وردت فى الخطط التوفيقية حـ١٢ ص ٦٩ " مدينة على الجانب العربى لخليج السويس ، وثغر من ثغور مصر وفرضة لتجارات جزيرة العرب والهند والسودان واقعة فى شرق القاهرة .

(٥) القلزم : ذكر معناها أبو صالح الأرمنى فى الكنائس والأديرة ص ٨٨ " الحبل الذى يستخدم فى ربط الملابس " وعرفها المقريزى " الدواهى المضايقة " بينما أورد البعض أن البحر أخذ اسمه من مدينة القلزم التى تقع على الطرف الشمالى لهذا البحر .

المقريزى : خطط حـ١ ص ٢١٢

Maspero et wiet : Materiaux pour Sirvir . P . P. 134 - 199 .

البحر إلى الجار (ميناء المدينة قتئذ) ثم إلى جدة ومنها إلى عدن فـي طريقهـم إلى سواحل الهند " .

وكـانت ترسـو بـه سـفن الكبـيرة ، ومعظـم سـكانه مـن أثريـاء التجار[١] وكـان يرسـل منه مـا لا يقـل عـن ثلاثـة آلـف حمـل جمـل مـن القمـح والدقيـق كـل أسبوع إلى بـلاد الحجـاز ، فكـانت كمـا يقـول المقدسـى[٢] " خزانـة مصـر وفرضـة الحجـاز معونـة الحـاج " ، كمـا ذكرهـا ابـن حوقـل فقـال عنهـا أنهـا " تامـة العمـارة بهـا فرضـة مصـر والشـام ، ومنهـا تحمـل حمـولات الشـام ومصـر إلى الحجـاز "[٣] .

وكـان بـالقلزم دار الصناعـة[٤] ، وليـس أدل علـى عظـم التجـارة وكـثرة المكوس بها ، ما سامح به الخليفة الحاكم بأمر الله أهل مدينة القلزم ما كان يؤخـذ من المكوس على المراكب سنة ٣٨٧هـ[٥] تشجيعاً منـه لحركـة التجـارة بالمدينـة . وهذا وقد استمرت أهمية القلزم قائمة حتى أواخر القرن الرابع الهجـرى (العاشـر الميلادى)[٦] .

---

(١) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ١٥٤ - ١٥٥ ، اليعقوبى : البلدان ص١٩٩

(٢) المقدس : أحسن التقاسيم ص ١٩٦

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ص ٩٧ - ص٩٨ ليدن ١٩٦٧م .

(٤) الإدريسى : صفة المغرب وأرض السودان ومصر (مأخوذ عن نزهة المشتاق) ص ١٢٤ ، ١٢٥ ليدن ١٨٦٦م .

(٥) المقريزى : خطط جـ١ ص ٢١٣

(٦) فى نص أورده ابن زولاق أشار فيه أن القلزم ميناء هام فى ايامه .

Maspero et wiet : Materiaux . P. 149 .

الفسطاط :

كانت الفسطاط فى العصر الفاطمى دون شك هى العاصمه التجارية Metopole لمصر وكان يطلق عليها فى أوراق الجنيزة " مصر " بينما أطلق عليها فى الوثائق الشرعية " فسطاط مصر " وهو مصطلح كان يستخدم لتمييزها عن المدينة الأخرى حديثة النشأة " القاهرة " العاصمة السياسية(١) .

وسيكون من الخطأ أن نظن أن الأسكندرية ، الميناء الواقع على البحر المتوسط كان مركز توزيع التجارة ، وأن الفسطاط كانت تستمد أهميتها من كونها مقر للإدارة فالنصوص التى لا تقبل الشك لمئات من أوراق الجنيزة التى ترجع إلى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) تثبت أن الفسطاط المدينة الواقعة فى عمق الإقليم كانت أيضاً المركز التجارى والمالى للبلاد ، وأن الأسكندرية المدينة الساحلية كانت ترتبط فى كل النواحى بالفسطاط التى كانت بمثابة الوكالة التجارية لكل المنطقة والتى تتجمع بها كل أنواع البضائع(٢) . فقد كانت تمر بها التجارة المصدرة إلى الأسكندرية ، فتبحر منها المراكب محملة بالشب والغلال والكتان والبهار والسكر وغير ذلك(٣) . وهى محطة كبرى لتجارة المرور بين الشرق والغرب(٤) .

---

(1) Goitein .S.D. " Cairo , an islamic city in the light of the Geniza Document " in lapidus ira , M (ed) Meddle Eastern cities , Berkeley . IV (Berkeley . 1983) p.p.6-7 .

(٢) أيمن فؤاد سيد : الدولة الفاطمية فى مصر " تفسير جديد " ص ٢٩٩ الدار المصرية اللبنانية الطبعة الأولى ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م .

(٣) ابن مماتى : قوانين الدواوين ص ٢٥٦ - ص٢٥٧

(4) wiet (Gaston) : l'Egypte Arabe . T. IV.P.215 .

وكانت السفن التى ترد إلى الفسطاط فى أعداد كبيرة تحمل الطعام والمتاع، وتبلغ حمولة السفينة ما يحمله خمسمائة بعير(١) ، وكان ما يرد إليها من متاجر البحر المتوسط والأحمر فوق ما يوصف ومنها تصدر إلى سائر البلاد(٢) .

وكان بساحل الفسطاط أماكن مخصصة لرسو كل نوع من أنواع السفن ، فمثلاً كانت المراكب المشحونة بالحبوب ترسو بموردة الحلفا من الساحل ، وفى ناحية أخرى كانت ترسو المراكب المشحونة بالأخشاب(٣) .

ويتبين لنا مدى ما بلغته الفسطاط من مكانة بين الحواضر الإسلامية من قول المقدسى(٤) أنها " خزانة المغرب ومطرح المشرق ، عامر الموسم ، ليس فى مصر من الأمصار أهل منه ، كثير الأجلة والمشايخ ، عجيب المتاجر والخصائص ، حسن الأسواق والمعايش، إلى حماماته المنتهى ولقياسره لباقة وبهاء ،ليس فى الإسلام أكبر مجالس من جامعه ، ولا أحسن تجملا من أهله ، ولا أكثر مراكب من ساحله" .

وفيما يختص بالبضائع التى كانت ترسل إلى ما وراء البحار فإن مكوسها كانت تحصل مسبقاً فى الفسطاط ، ولم يكن يسمح بنقلها إلى الأسكندرية دون أن تكون مصحوبة بما يثبت دفع المكوس عنها فى العاصمة ، وحتى السلع التى كانت تجلب من موانى البحر المتوسط إلى الأسكندرية لم تكن تصل إليها ألا بإذن من الفسطاط(٥) .

---

(١) الكندى : فضائل مصر ص ٤٨ تحقيق / غبراهيم العدوى .

(٢) على بهجت : حفريات الفسطاط ص٣٣ القاهرة ١٩٣٨م .

(٣) على بهجت : حفريات الفسطاط ص٣٣ وكان هذا الساحل يسمى " بساحل السنط " ابن مماتى : قوانين الدواوين ص ٣٤٧

(٤) أحسن التقاسيم ص ١٩٧ - ص١٩٨

(٥) ايمن فؤاد : الدولة الفاطمية ص ٣٠٠

كانت الفسطاط والأسكندرية تختلفان كذلك فى تركيب سكانهما ، فالمدينتان كانتا تعجان بالأجانب ولكن الفرق بينهما كان ينحصر فى أن من كان يلحق منهم بالعاصمة كانت لديه النيه للاستقرار بها ، بينما كان من يقيم منهم بالأسكندرية كان مصمما على مغادرتها " بعد قضاء الحوائج "(١) .

ومن الجدير بالذكر أن إنشاء القاهرة لم يؤثر على مركز الفسطاط التجارى لأن المدينة الجديدة " القاهرة " ظلت زمنا أشبه بمعسكر يقيم به الجنود والموظفون، وهؤلاء جميعًا كانوا يعتمدون فى الحصول على المواد الغذائية والمصنوعات والسلع الواردة من الخارج . حيث حفلت أسواقها العامرة بمختلف أنواع السلع التى ترد إليها من بلاد الشام والعراق والمغرب وبلاد الروم(٢) .

وعلى كل حال فقد كانت طرق التجارة ، سواء القادمة من الأسكندرية أو من داخل افريقيا أو من البحر الأحمر ، تلتقى كلها فى الفسطاط بسبب قربها من النيل وكانت تمر من خلالها كافة أنواع البضائع الشرقية والعربية من منسوجات وجلود ومعادن مشغولة وعطارة وكافة أنواع التوابل التى يحتاج إليها بلاط الفاطميين والتجار الإيطاليين(٣) .

- دمياط وتنيس :

أما دمياط وتنيس فكانت لهما صلات ببلاد الشام والقسطنطينية وجزيرة قبرص ، وقد ساعد موقع دمياط على شاطئ البحر المتوسط فى العصر الفاطمى

---

(1) Goitein : " Cairo , An islamic city . p.82 , A mediterranean Socity . IV .p.8.

(٢) جمال سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق ص١٤٥ .

(3) Goitein ; " From the mediterranean To india " (Speculum . xx1x (1954)) p.192 , Garcin . J.C un center musulman de la Haute Egypte medieval . qûs . p.100) ; Le Caire I F A O . 1975 .

على تسهيل ابحار السفن التجارية من داخل البلاد عبر النيل إلى موانى هذا البحر، وكتنت ترد إليها السلع من تجار الروم ، حيث تفرض عليها المكوس طبقًا لما كان يتبع فى الأسكندرية ، مع فارق بسيط فى بعض الضرائب(١) .

وأخذت دمياط مكان الصدارة بين موانى مصر الشرقية فى العصر الفاطمى بسبب ضيق الفرع البيلوزى وطمر الرمال له ، مما جعله يفقد أهميته ، بينما أخذ فرع دمياط يتسع وينطلق إلى البحر وتزيد أهميته ويكثر استعماله(٢) .

ومن الأسباب التى حملت الفاطميين على العناية بثغر دمياط أنه كان مركزًا هامًا لصناعة النسيج(٣) . وقد أصاب أهلها من ذلك ثروة عظيمة ، وليس أدل على مبلغ ثرائها أن بدر الجمالى اقترض من تجارها بعض الأموال عندما نزل بها ، بعد أن استدعاه الخليفة المستنصر بالله لتولى الوزارة سنة ٤٦٥ هـ / ١٠٧٢ م(٤).

أما تنيس فبينها وبين دمياط مسيرة نصف نهار(٥) .ولم تكن تنيس تصلح إلا للسفن الصغيرة ، وكان لها اتصال سهل جدًا بشرق الدلتا ، وهى على نهاية أقصر طريق بحرى من الفسطاط إلى الشام(٦) . ويشيد الكندى بما وصلت إليه تنيس فى مجال صناعة النسيج والتجارة الخارجية بقوله : " وليس فى الدنيا منزل إلا وفيه

(١) ابن مماتى : قوانين الدواوين ص٣٢٥ ، ص ٣٢٧ .

(٢) جمال الدين الشبال : مجمل تاريخ دمياط ص١٣ .

(٣) نفس المرجع ص١٣ ، ١٤ .

(٤) ابن ميسر : أخبار مصر ص٢٣ .

(٥) ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ٤ ص ٨٦ .

(٦) راشد البرادى : حالة مصر الاقتصادية ص٢٩٦ - ٢٩٧ .

ثوب من تنيس "(١) وقد انفردت بصناعة الشرب(٢) والملابس الملونه(٣) . وكان التجار الأجانب القادمين من خارج " دار الإسلام " والذين كانوا يصلون إلى المدن الساحلية ، ونعنى بهم التجار القادمون من أوربا المسيحيية وبيزنطة والذين كانوا يقصدون موانى البحر المتوسط ، كان هؤلاء التجار يصلون إلى الأسكندرية ودمياط وتنيس . لم تكن هناك ضرورة لتوجههم إلى داخل البلاد أو حتى الفسطاط حيث كان هناك وسطاء محليون يقومون بنقل البضائع التى أحضروها أو التى يحتاجون إليها(٤) .

- رشيد :

وكانت تنقل السلع منها أحيانًا إلى الفسطاط(٥) ، ويحمل إليها من متاع البحر سائر أسباب التجارة ، وكان دخلها كبيرًا مما يفرض من ضرائب على ما يحمل إليها من الأسكندرية(٦) .

- أسوان :

شهدت أسوان نشاطًا ملحوظًا فى مجال التجارة الخارجية فى العصر الفاطمى . وقد تكاتفت ظروف عديدة جعلتها تتبوأ مكانه مرموقة . منها موقعها

---

(١) الكندى : فضائل مصر ص٦٧ .

(٢) معجم البلدان جـ٤ ص٨٦ .

(٣) معجم البدان جـ٤ ص٨٦ .

(4) Cahen (Claud) : les Marchandes etrangers au Caire sous les Fatimides et les Ayjoubides C.I.H.C.p.96 .

أيمن فؤاد : الدولة الفاطمية ص٣٠٢ .

(٥) وذلك إذا لم يشأ التاجر أن يفرغ بضاعته فى الأسكندرية .

(٦) ابن حوقل : صورة الأرض ص١٣٩ . ليدت ١٩٦٧ م .

الملائم حيث تتاخم حدود النوبة من ناحية الجنوب ، وتنتهى إليها مداخل طرق القوافل الآتية من السودان والصحراء الشرقية ، فضلاً عن أنها تتصل بالعاصمة بالطريق البرى الممهد والطريق النهرى الخالى العقبات التى تعترض مجراه . وكانت أسوان السوق الطبيعية لتجارة النوبة وأوسط أفريقيا(١) .

وكان التبادل التجارى بين مصر والنوبة يتم فى قرية " بلاق " التى كانت بمثابة السوق الذى تأتى إليه سفن النوبة وسفن المسلمين من مصر وأسوان(٢) ، و لم يكتف تجار النوبة بجلب سلعهم إلى " بلاق " بل كانوا يأتون بقوافلهم إلى أسوان بوصفها أكبر سوق تجارى فى جنوب مصر ، فضلاً عن أنها السوق الوحيد الذى لا يتجاوزوه شمالاً حيث يقول المسعودى : " والنوبة متصلة بتجارتها وقوافلها بمدينة أسوان "(٣) .

– عيذاب :

كان عيذاب ميناء على بحر القلزم . وترجع نشأته ف الغالب إلى أواخر القرن العاشر الميلادى " الرابع الهجرى "(٤) ، وكانت ترد إليها البضائع من الحبشة وزنجبار بطريق البحر ، ثم تحمل على الأبل فى

(١) دائر المعارف الإسلامية : مادة أسوان .

(٢) المسعودى : مروج الذهب حـ٢ ص٢٢ تحقيق / محمد محى الدين عبد الحميد ١٩٦٤م . وكانت حدود مصر الجنوبية عند أسوان تنتهى فى بلاق وآخر حدود النوبة التى تواجه مصر عند قرية القصر والمسافة بينهما ميلاً واحدًا . المقريزى : خطط حـ١ ص١٨٩ ، ياقوت الحموى : حـ٢ ص٢٦١ .

(٣) المسعودى : نفسه حـ ص٢٦ .

(٤) أحمد دارج : عيذاب ص٥٥ مجلة نهضة أفريقية العدد التاسع أغسطس ١٩٥٨م .

الصحراء مسيرة عشرين يومًا إلى أسوان أو قوص ومن هناك تنقل إلى القاهرة فى النيل(١) .

بلغت عيذاب فى نهاية القرن الخامس الهجرى " الحادى عشر الميلادى " درجة عظيمة من الأزدهار ، وأصبحت أحدى الموانى الهامة التى ترسو بها مراكب كثير من البلاد (٢) ، وزادت أهميته فى العصر الفاطمى ابتداء من سنة ٤٦٠هـ/١٠٦٧ - ١٠٦٨م بسبب تحول قوافل الحجاج المصريين والمغاربة عن طريق شبة جزيرة سيناء إلى طريق النيل إلى عيذاب عبر الصحراء الشرقية حتى سنة ٦٦٦هـ / ١٢٦٧ - ١٢٦٨م(٣) .

وكان استيلاء الصلبين على أيلة فى بداية القرن السادس الهجرى " ٥١٠هـ / ١١١٦م " بعد نجاحهم فى انشاء مملكة بيت المقدس سنة ٤٩٢هـ / ١٠٩٨ بعد الحملة الصلبية الأولى ، أثره فى ازدهار عيذاب ، بالاضافة إلى اشتداد النزاع بين الفاطميين والسلاجقة ، واقترن ذلك بانتعاش حالتها الاقتصادية بسبب ما يتحصل من مكوس على السلع التى تمر بها ، واشتغال عدد كبير من الأهالى فى شحن السلع وتفريغها(٤) .

---

(١) آدم متز : الحضارة الإسلامية حـ٢ ص٣١٩

(٢) جمال سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية ص١٥٠

(٣) أحمد دراج : عيذاب ص٥٧ ويقول صلاح الدين الشامى : " إن ازدهار عيذاب كان سببًا فى خراب ميناء باضع جنوب ميناء عيذاب على البحر الأحمر ، والذى يعتقد أن مكانه فى ميناء مصوع حاليًا " .

الميناء العربى الأول : ص٢٢ مجلة نهضة أفريقية العدد التاسع أغسطس١٩٥٨م .

(٤) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلامية السياسى حـ٤ ص٤٠٧ .

وكان للفاطميين أسطول بعيذاب يتلقى به الكارم فيما بين عيذاب وسواكن وما حولها خوفًا على مراكب الكارم من قوم كانوا بجزائر بحر القلزم يعترضون المراكب فيحميهم الأسطول الفاطمى(١) .

(١) القلقشندى : صبح الأعش جـ٣ ص٥٢٤ .

الكارمية : جماعة من التجار بدأ نشاطهم فى موانى المحيط الهندى ، حيث تتجمع فى موانيه بضائع الشرق الأقصى ، ثم أخذت تنتقل بنشاطها رويدًا رويدًا نحو الشمال حتى تم انتقالها إلى شواطئ البحر المتوسط ، وكان طبيعيًا أن يتخذ هؤلاء التجار مراكزهم على مقربة من البحر ، ولهذا جاء هؤلاء إلى مصر واتخذوا منها موطنًا لهم فى نهاية القرن الثانى عشر الميلادى (السادس الهجرى) .

الشاطر بصيلى عبد الجليل : الكارمية ص٢١٧ مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية المجلد ١٣ سنة ١٩٦٧م .

الفصل الثانى

عوامل ازدهار التجارة فى بيزنطة

- الطرق التجارية المؤدية إلى بيزنطة .
- مراكز التجارة الخارجية .

الفصل الثانى

عوامل ازدهار التجارة فى بيزنطة

- الطرق التجارية المؤدية إلى بيزنطة :

يقول نورمان بينز : " كانت التجارة مع الشرق لا تزال تستنزف معظم نشاط تجار الرومان بعد أن نقلت العاصمة إلى القرن الذهبى ، وكانت الدولة تبدى اهتمامًا بشأن هذه التجارة "(١) .

وكانت هناك ثلاثة طرق يمكن للمنتجات الشرقية أن تصل عن سبيلها من الشرق الأقصى إلى القسطنطينية ، كان اقصرها يعبر واحات بلاد الصغد " بخارى وسمر قند " مخترقًا فارس ومن ثم حدود الامبراطورية(٢) .

أما الطريق الثانى فيخترق المحيط الهندى إلى البحر الأحمر ومصر ومنه برًا إلى الأسكندرية حيث تنتقل التجارة إلى القسطنطينية ومنها إلى الغرب ، أو أن تأخذ طريق البحر إلى الخليج الفارسى ومنه إلى بلاد الشام حيث يسلك طريقه فى البحر المتوسط إلى القسطنطينية أو أن تجتاز الهند وأفغانستان ووسط فارس إلى نصيبين ومنها إلى بلاد الشام(٣) .

---

(١) نورمان بيتر : الأمبراطورية البيزنطية ص٢٥٧ تعريب / حسين مونس ، ومحمود يوسف زايد . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر الطبعة الثانية ١٩٥٧م .

(٢) نفسه .

(٣) بيتر : نفسه ، عفافف سيد صبرة : الأمبراطوريتان البيزنطية والرومانية الغربية زمن شارلمان ص٣٥٥ - ص٣٥٦ دار النهضية العربية ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

والطريق الثالث وهوطريق أكثر صعوبة ، يمتد من وسط آسيا إلى بحر الخزر ومن ثم إلى البحر الأسود ، عبر شمال إيران إلى نصيبين على الحدود البيزنطية أو عن طريق أرمينية إلى طرابيزون(١) .

وكان طريق التجارة الجنوبى أهم من ذلك بكثير ، فقد كانت فى القرن السادس ملتقى لتجار الشرقين الأقصى والأدنى . فهناك كان تجار من الهند وآخرون من الحبشة يستبدلون الحرير والمر " اللبان " وخشب الصندل الواردة من الصين بالزجاج والأقمشة المطرزة من سوريا . وفى سيلان أيضا كان يتم تبادل العنبر وحجر اليشب الآتيين من الغرب بالفلفل الوارد من مالاً بار وخشب الساج والسمسم والنحاس الآتى من كاليانا Calliana " على مقربة من بمباى " وكانت مركزًا تجاريًا عظيمًا(٢) .

وكان تجار الحبشة يجلبون هذه المنتجات إلى أدولة Adule على البحر الأحمر عاصمة مملكة اكسوم Axum الحبشية وكان بعضهم يوغل فى البحر حتى يصل سيلان بينما يظهر أن الأكثرية منهم كانوا يحمّلون مراكبهم فى مالابار ، التى كان التجار الهنود يجلبون إليها متاجر من الشرق الأقصى والجواهر وحجر اللازورد وقواقع السلاحف من سيلان(٣) .

وكانت السفن البيزنطية تأتى إلى " أدولة " ومن ثم تبحر محملة بالتجارة الشرقية إلى جوتاب وهى جزيرة تبعد عن شبه جزيرة سيناء ، وكانت تصل إلى

---

(١) بيتر : نفسه ص٢٧٥ - ص٢٧٦ .

Heyd . W . Histoire du Commerce du Levant . vol., 1 p.p. 20 - 24 .

(٢) بيتر : نفسه ص٢٧٨ - ص٢٧٩ .

(٣) بيتر : نفسه ص٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ .

جوتاب أيضًا المراكب البيزنطية التى كانت تتجر بالبهارات مع موانى اليمن على الساحل البحر الأحمر الشرقى(١) .

أما فى أوربا فكان هناك الطريق القديم طريق أجناتيا v/a Agnatia الذى يسير من القسطنطينية إلى أدرينبول وتيابوليس وفيليبى وسالونيكا إلى جانب طريق آخر هام فى الشمال يؤدى إلى بلغاريا(٢) .

وقد امتلكت الدولة البيزنطية أسطولاً ضخمًا سيطرت به على تجارة البحر المتوسط يضاف إلى هذا أشراف بيزنطة على مضيق مسينا وعلى جانبى البحر الأدرياتى الذى حال دون مرور آية سفينة - كانوا يريدون منعها من السفر من الغرب أو إليه . كما أن الطريق الممتد على سواحل البحر المتوسط الجنوبية بين مصر وشمال أفريقيا كان شديد الخطورة على الملاحة على الرغم من إمكان استخدامها ، وتقع هذه الطريق على طول خليجى قابس وسدرة حيث تهب رياح شمالية لا تعترضها كتل أرضية أو تحد من هبوبها ، ولذاكانت الطريق المألوفة بين الشرق والغرب هى الطريق المارة بكريت وقبرص وعلى طول ساحل آسيا الصغرى ، هذا إلى جانب استخدام الطريق المباشر بين كريت والأسكندرية(٣) .

وكانت فى استطاعة القوة البحرية البيزنطية على طول هذه السواحل كلها أن تقف فى وجه التجارة المتوجهة إلى الغرب أو الذاهبة إلى مصر والشام وشمال أفريقيا ، وإذا أمكن لسفينة أن تفلت من هذا الحصار عند مكان ما فهناك أماكن

---

(١) بيتر : نفسه ص٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ص٢٨١ .

(2) David . T,Rice The Byzantins. P.41. M.B.E. 1962.

(٣) لويس ارشيبالد : القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ص١٤٢ ترجمة / أحمد عيس .

أخرى يمكن منعها من الأفلات مرة أخرى . وهذا الوضع مكن بيزنطة من محاصرة البحر المتوسط سواء كان فى وسطه أم على طول سواحل شمال أفريقيا من جهة الغرب أو على الطريق الدائرية للتجارة بين الشرق والغرب(١) .

على أن الرقابة التجارية البيزنطية لم تقف عند حد مجرد مرور التجارة الدولية فى مواضع خاصة ومنع مرورها فى مواضع أخرى فيما بين عامى ٧١٦ - ٨٢٧ م / ٩٨ - ٢١٢ هـ .

بل كانت لها أهمية أخرى ترتبت عليها نتائج لم تكن منظورة بالنسبة لتشكيل التجارة فى حوض البحرين الأسود والمتوسط . ذلك أن هذه الرقابة أدت إلى تغيير الوسطاء الذين كانوا يقومون بالتبادل التجارى بين الشرق والغرب ، وعلى الرغم من نشاط بعض التجار الوطنيين فى إيطاليا وشمال أفريقيا فإن التجارة بين الشرق والغرب ظلت حتى عام ٧١٦ / ٩٨ هـ فى يد الشوام والمصريين واليونانيين والهنود . واستقر التجار المشارقة جلابو البضائع الشرقية فى مستعمرات لهم فى الغرب ومنه كانوا يرسلون السفن إلى الشرق محملة بالبضائع الغربية (٢) .

وابتداء من عام ٧١٦ / ٩٨ هـ حالت التدابير الاقتصادية البيزنطية دون وصول التجار الشوام والمصريين إلى أسواق الغرب ، وأكثر من هذا نرى البيزنطيين فى ختام القرن الثامن (الميلادى) يحرمون على عدد كبير من التجار اليونانيين فى مناطق القسطنطينية وبحر إيجة وآسيا الصغرى نقل هذه التجارة ، وهكذا ضيقوا الخناق على أنفسهم وعلى منافسيهم والتزموا فى الوقت ذاته باتباع سياسة

---

(١) لويس ارشيبالد : القوى البحرية والاتجارية فى حوض البحر المتوسط ص١٤٢ ترجمة / أحمد عيس .

(2) Pirenne: H; Mohamed and Charlemagne p.p 114-176 N.y. 1939.

اقتصادية سلبية تكاد لا تقل سلبية عن تلك التى اتبعتها مع كل من الشام ومصر ، وانتهى الأمر بأن حددت بيزنطة عددًا معينًا من المنافذ التجارية واشترطت ألا تسلك التجار غيرها(١) .

وبهذا حطمت ما كان للتجار من رعاياها من حرية التبادل التجارى خارج حدود الامبراطورية ، بل أنها فعلت أكثر من هذا ، ذلك أنها جعلت توزيع البضائع الثمينة مثل الحرير والتوابل احتكارًا لتجار تلك المنافذ ولمن سمح لهم بالقدوم إليها لأغراض التجارة . فمن خرسون قام الخزر بتصدير البضائع البيزنطية إلى روسيا وممتلكاتها ومن طرابيزون عاد التجار العرب والأرمن بالبضائع إلى بلادهم ، ومن صقلية قام تجار شمال أفريقيا بتوزيع بضائع القسطنطينية على سكان المغرب الأقصى، وكان أكبر الموزعين نصيبًا تجار المدن البحرية وأمالفى ونابلى(٢).

ولعل هذا شيئًا هامًا وهو أن إزدياد خروج عملية نقل التجارة من أيدى البيزنطيين إل غيرهم أدى إلى التدهور الملحوظ فىقوة أساطيل الأجناد البيزنطية فى بحر إيجة وكيرهايوت ، إذ كانت تلك الأساطيل تعتمد على من تجمعهم بالقوة من ملاحى السفن التجارية . وهذا هو الذى يعزى إليه ضعف بيزنطة البحرى فى أوائل القرن التاسع (الميلادى) ، أى أن ذلك الضعف يرجع إلى إهمال فعلى من جانب الحكومة لشئون الأسطول ، وقد ترتب على هذا الضعف أنه لم يعد فى مقدور أساطيل صقلية وبحر إيجة مواجهة قوى بحرية ، كانت منذ قرن لا تستطيع أن تقف أمامها(٣) .

---

(1) Heyd : Hist , du Commerce . vol., l , p.p. 55-56 .

(2) Heyd : Ibid , pirrinne . op cit . p.p. 255 - 260 .

(3) Bury . J . Histiry of the later Raman Empire vol., ll , p. 663 (III vols., London 1923)

- مراكز التجارة الخارجية :

- **القسطنطينية** : لا شك أن الموقع الجغرافى الممتاز للقسطنطينية قد حقق لها رخاء اقتصاديًا كبيرًا ، فهى تقع عند ملتقى آسيا وأوربا والشرق بالغرب وهذا الموقع الفريد جعلها ملتقى لطرق التجارة العالمية .

لم تقم شهرة القسطنطينية التجارية إلا بوصفها قلعة من قلاع الصناعة حيث يصفها الأستاذ شارل ديل بأنها كانت قلعة للصناع ويقول أن المحلات التى كانت على جانبى شارع الميز لا يمكن منافستها وهى تكتظ بالمصنوعات المحلية التى صنعت فى القسطنطينية وهى آية فى الروعة والجمال وكلها مطعمة بالذهب والفضة والأحجار الكريمة ، وهناك فى سوق أركاديوس بالذات توجد مجموعة كبيرة من الصناع يعرضون مصنوعاتهم ، والصياغ الذين تفننوا فى تشكيل القطع الذهبية إلى أشكال جذابة تجذب الناظرين ، وصناع الجلود الذين فاقوا غيرهم من أهل هذه الفترة فى مصنوعاتهم وصناع الشمع وصناع النحاس المكفت وغيرهم(١) .

وقد انتظم معظم الصناع فى اتحادات أو نقابات . فقد كان لكل صنعة من الصناعات نقابتها ولا يجوز لأى شخص أن ينتسب إلى نقابتين فى وقت واحد ،

يرجع المورخون أسباب عدة لذلك الانهيار منها ما هو داخلى مثل تدخل الحكومة المستمر فى شئون الصناعة والتجارة وفساد الإدارة والحكومة رينسمان (ستيفن) : الحضارة البيزنطية ص٢٠١ ترجمة / عبد العزيز جاويد القاهرة ١٩٦١م .

(1) Diehl , ch : Byzantium Greatness and Decline . P8 New Brunswik New Jersy 1957 .

عفاف صبرة : الأمبراطوريتان البيزنطية والرومانية ص٣٤٩ .

وكل نقابة تعين رئيسها الذى كان من الضرورى فيما يحتمل أن يوافق والى المدينة على تعيينه ، وكانت النقابة كوحدة كاملة تشترى المواد الخام التى تلزم الصناعة وتقسمها بين أعضائها الذين كانوا يبيعون السلع المصنوعة فى مكان عام بسعر محدد بديوان الوالى ، وكانت ساعات العمل وأجور العمال تقرر بنفس الطريقة . ولذا لم يعد للوسطاء أدنى ضرورة وكل محاولة لشراء مقادير ضخمة من البضائع وبيعها بالتجزئة فى الأوقات المناسبة كانت محظورة حظرًا تامًا(١) .

و لم يكن فصل العمال من المصانع ممكنًا ، إذ كان يترتب على ذلك صعوبات ومشاكل فإن عطل أى رجل صحيح الجسم عن عمل يقوم المسئول المباشر بتكليفه بعمل جديد من الأعمال العامة ويقول فى ذلك ليو الأيسورى فى مواد الأكلوجا(٢) " إن الكسل يورث الجريمة وكل فائض ناتج عن عمل الغير ينبغى أن يعطى للضعفاء لا للأقوياء " (٣) .

ويذكر شارل ديل فى ذلك أن القسطنطينية كانت قلعة الاحتكارات والامتيازات وحماية الإنتاج الوطنى . فالصناعة كانت تحت رقابة الدولة ، كما قامت بتنظيم النقابات التى كان لكل واحدة منها مجالاً معينًا . و لم يترك متسعًا

---

(١) رينسمان : الحضارة البيزنطية ص٢٠٨ ترجمة / عبد العزيز جاويد .

(٢) الاكلوجا : أو المختارات هى مجموعة القوانين المختصرة وتحتوى على أربعين بندًا قام باصدارها الامبراطور ليو الثالث الأيسورى باللغة اليونانية وهى عبارة عن منتخبات من القوانين قام باختصارها ليو وابنه وخليفته قسطنطين الخامس ، الذين اقتبسوها من مجموعة جستينان القانونيه " الدجستا " ومن متجدداته وقد غلبت عليها الأحكام الإنسانية .

عفاف صبرة : المرجع السابق ص٣٨٧ .

(٣) رينسمان : الحضارة البيزنطية ص٢٠٩ .

للعمل المستغل أو للحق الفردى فكانت الدولـة تتدخـل فـى تحديـد كميـات البيـع والشراء ونوعية المصنوعات وتتحكم فى الأسعار وتحـدد الأربـاح وتفـرض تفتيشًـا دوريًا على المحلات والدفاتر التى يمسكونها وتمنع تصدير هذه السلعة أو تلك طبقًـا لنظام حماية المصنوعـات المحليـة ، وتحقـق فـى ذلـك مـع مـن يتهـم بـالخروج علـى القانون، وكانوا يفاجئون التجار بحملات فمثلاً كانوا يمنعون استيراد الصابون مـن مرسيليا لأنه ينافس الصناعة المحلية ، كما يمنعـون تصديـر الحريـر الأرجوانـى حتـى أصبحت هناك قوائم تسمى " قوائم المصنوعات الممنوعة " وهى التـى يحظـر بيعهـا للأجانب : فكان المصنع يجهـز البضـائع التـى سـيقوم بتصديرهـا فيخطـر بهـا وإلى المدينة الذى يقوم بفحصها ثم يعطى المصنع تأشيرة تتضمن الموافقة ويقوموا بختمهـا بختم الامبراطورية(١) .

كانت القسطنطينية أهم مرفأ تجارى فى القرنيين الثامن والتاسع الميلاديـين ، فقد نجح الايسوريون ومن بعدهم العموريون فى جعل التجارة هـى المصـدر الأول لثروة الشعب ، كما رأوا أن أى تدخل فى حرية التجارة يعتبر اضرارًا لصالح الفـرد والجماعة(٢) .

---

(1) Diehl : opcit . p. 90 .

عفاف صبرة : نفس المرجع ص٣٤٩ – ص٣٥٠ .

احتكرت الحكومة الامبراطورية جميع المنسوجات الحريرية الأرجوانية بالذات ويرجـع ذلـك إلى أن الدولة كانت تخصص هذا اللون كرداء رسمى يلبسـه جميـع مـن يعملـون فـى القصـر الامبراطورى

Charanis : The social structure of the later Roman Empire in Byzantine . p. 50 - 51 (London 1942) .

(2) Finalay, G,: "History of the Byzantine Empire .p. 188 . (London 1906) .

- المراكز التجارية الأخرى :

امتلكت الامبراطورية البيزنطية مجموعة كبيرة من الموانى الهامة فى جميع أرجاء الشواطئ الشرقية للبحر المتوسط ، وهناك موانى فى الأناضول مثل طرطوس وأضاليا وافسوس وفوكيه(١) .

وعلى البحر الأسود كانت طرابيزون فى الجنوب حيث كانت مركزًا وسوقًا تجاريًا كبيرًا ، وأصبحت طرابيزون فى القرن العاشر أهم مركز للإتصالات التجارية بين بيزنطة وتجار المسلمين(٢) . وقال عنها المسعودى : " لها أسواق فى السنة يأتى إليها كثير من الأمم للتجارة من المسلمين والروم والأرمن وغيرهم"(٣).

وعلى شواطئ اليونان هناك موانى نوبليا ، وكورنثة وتيراس وأثينا ، ونيجربونت ودورازو على البحر الأيونى ، وعلى رأسهم جميعًا سالونيكا وهى أكبر مركز تجارى فى أوربا بعد القسطنطينية ، وهو ميناء ضرورى لجميع أنواع المتاجر بين الادرياتى والبسفور والمنفذ الطبيعى لصادرات البلقان من العبيد . ففى نهاية أكتوبر من كل عام وأثناء عيد ديمتريوس كان يعقد سوق مشهور فى فارادارحيث يباع فيه العبيد اليونانيين والايطاليين والكلت وأناس من شواطئ المحيط البعيد ، وهناك موانى أخرى مثل تراقيا وهراقليا وسبلمبريا وررودستو(٤) .

---

(١) عفاف صبرة : نفس المرجع ص٣٥٣ .

(٢) بيتر : الامبراطورية البيزنطية ص٣٧٧ .

(٣) المسعودى : مروج الذهب جـ٢ ص٣ طبعة باربيه دى ما ينار باريس ١٨٦١م .

(4) Diehl : op cit . p..88 .

لم تقتصر أهمية تلك المراكز التجارية على العلاقات الاقتصادية بين الامبراطورية البيزنطية وتجار المسلمين العرب ، بل كانت تعزز مكانة الامبراطورية بالنسبة لغرب أوربا . فكان أكثر تجارة الشرق الإسلامى ينقل قبل فترة الحروب الصليبية عن طريق بيزنطة وكانت هذه تجنى دخلاً عظيمًا بفضل قيامها بدور الوسيط بين الشرق والغرب ، ولكن الصليبين أقاموا علاقات تجارية مباشرة بين أوربا والشرق حتى إن زدهار بيزنطة الاقتصادى تلاشى بعد ذلك بقليل(١) .

---

(١) بيتر : نفس المرجع ص٣٧٨ .

الفصل الثالث

تطور العلاقات التجارية بين الدولة الفاطمية والدولة البيزنطية

- أثر الأوضاع الدينية فى مصر على العلاقات السياسية مع الدولة البيزنطية .
- دور التجار فى تنشيط حركة التجارة .
- السلع المتبادلة .
- المنشآت التجارية (القياسر – الفنادق – الخانات – الوكالات) .

الفصل الثالث

تطور العلاقات التجارية بين

الدولة الفاطمية والدولة البيزنطية

- أثر الأوضاع الدينية فى مصر على العلاقات السياسية مع الدولة البيزنطية .

تأثرت العلاقات بين الدولة الفاطمية فى مصر والدولة البيزنطية بكثير من العوامل السياسية والاقتصادية . فقد تغلبت العلاقات بين الود والعداء والحرب والسلام فظل النزاع قائما بين الدولتين حتى سنة ٣٧٧ هـ / ٩٨٧ م حيث قدمت إلى مصر رسل الامبراطور باسيل الثانى (٩٧٦ - ١٠٢٥ م / ٣٦٦ - ٤١٦ هـ) تحمل هدية للخليفة العزيز با لله وتطلب عقد الصلح بين الدولتين[١] . فأجاب الخليفة طلب هؤلاء السفراء واشترط للصلح عدة شروط منها .

١ - أن يطلق البيزنطيون سراح من عندهم من أسرى المسلمين .

٢ - الدعاء للخيلفة الفاطمى بجامع القسطنطينية فى خطبة الجمعة .

٣ - حمل ما يطلبه الخليفة من أمتعة الروم .

٤ - عقد الهدنة بين الفريقين مدة سبع سنوات[٢] .

---

(١) وقد اشتملت الهدية على ثمان وعشرين صينية من الذهب وأطباق محلاة بالذهب .

أبو المحاسن : النجوم الزاهرة حـ٤ ص١٥١ - ص١٥٢ ، بدر عبد الرحمن محمد : النشاط التجارى فى مصر فى العصر الفاطمى ص١٤٠ رسالة ماجستير أداب القاهرة ١٩٧٧م .

(٢) أبو المحاسن : نفسه .

Lane Poole : Ahistory of Egypt in the Middle Ages . P. P. 147 - 148،

بدر عبد الرحمن : تطور العلاقات الفاطمية البيزنطية منذ قيام الخلافة الفاطمية حتى منتصف القرن الخامس الهجرى ص ٢٣ مكتبة الأنجلو المصرية الطبعة الأولى ١٩٩٦م

كذلك توترت العلاقات بين مصر وبيزنطة فى عهد العزيز بالله حينما احترق الأسطول الفاطمى فى ميناء المقس بالقاهرة ، والذى كان معداً لصد تقدم البيزنطيين فى الشام ، الأمر الذى كان له أسوأ الأثر فى نفوس المصريين الذين اتهموا الروم بتدبير مؤامرة لاحراقه وخاصة أنهم كانوا يقيمون على مقربة من دار الصناعة بالمقس ، وحملوا عليهم وقتلوا فريقاً كبيراً منهم(١) .

وفى عهد الخليفة الحاكم بأمر الله أبرم أريسطيس بطريرك القدس صلحاً باسم الخليفة الفاطمى بين الدولتين فى سنة ٩٩٩م (حوالى سنة ٣٩٠هـ)(٢) .
تقرر فيه ما يأتى :

١ - تظل الهدنة قائمة بين مصر والدولة البيزنطية مدة عشر سنوات(٣) .

٢ - يتمتع المسيحيون الذين يقيمون فى أنحاء الدولة الفاطمية بالحرية الدينية ويسمح لهم بتجديد كنائسهم وبناءها .

٣ - يتعهد الأمبراطور باسيل الثانى بإمداد مصر بما تحتاج إليه من الحبوب .

٤ - احتفاظ بيزنطة بما تحت يدها من الأراضى السورية وزادت عليه قليلاً ، أما الشواطئ فبقيت فى قبضة الفاطميين(٤) .

---

(١) المقريزى : خطط حـ٢ ص ١٩٥ - ١٩٦ .
محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطمين الخارجية ص ٢٤١ .
(٢) أسد رستم : الروم حـ٢ ص٥٦ ، ص٥٧ .
(٣) أبو المحاسن : حـ٤ ص ١٩٢
Lane Poole : Ahist, of Egypt . P. 136.
(٤) أرشيبالدلويس : القوى البحرية والتجارية ص٣٠٥ ويعلق على ذلك بقوله : " وهكذا أجبر البيزنطيون على اقتسام السيطرة على مياه شرق البحر المتوسط مع البحرية المصرية القوية " .

على أن الأمبراطور البيزنطى سرعان ما قطع علاقته بالدولـة الفاطميـة حـين وصلته أبناء سياسة الحاكم بأمر الله العدائية إزاء النصارى ، إذ بـدأ الحـاكم ينتهـج سياسة الشدة مع غير المسلمين من رعاياه سنة ٣٩٣هـ / ١٠٠٢م ثـم تجلى عنفـه فى معاملتهم سنة ٣٩٥هـ / ١٠٠٤م فحتم عليهم لبس أزياء خاصـة ، ولم يمضـى على ذلك ثلاث سـنوات حتـى إتسـع نطـاق اضطهـاد النصـارى واليهـود ، فـأمر الحاكم بهدم بعض الكنائس فـى القـاهرة وفـى الوقـت الـذى اشـتد فيـه اضطهـاد الذميين تقلد الوزارة منصور بن عبدون النصرانى وقد أشار هذا الوزير على الخليفة الفاطمى الحاكم بوجوب هدم كنيسة القيامة([1]) أو القبر المقـدس فـأصدر مرسـوماً بهدمها([2]) . ولم يقف اضطهاد الحاكم للذميين عنـد هـذا الحـد ، بـل الغـى جميـع الأحباس المرصـودة علـى الكنـائس والأديـرة بأعمـال مصـر ، وترتـب علـى تلـك السياسة دخول كثـير مـن كتـاب الذميـين فـى الإسـلام وتبعهـم فريـق مـن عامـة النصارى ، كما هاجر بعضهم إلى بلاد الدولة الرومانية الشرقية والحبشة والنوبـة ، وأجازهم الحاكم هذه الهجرة وأذن للمهاجرين منهم بحمل أموالهم .

---

(١٩) يشير النويرى إلى ذلك بقوله : " فقد أمر الحاكم بـأمر الله سـنة ٣٩٨هـ بهـدم كنيسـة قمامة بالبيت المقدس ، فكتب ابن خيران صـاحب ديـوان الإنشـاء فـى ذلـك " خـرج أمـر الإمام بهدم كنيسة قمامة (القيامة) فليصير طولها عرضاً وسقفها أرضاً " .
نهاية الأرب فى فنون الأدب حـ٢٨ ص ١٨٤ تحقيق / محمد محمد أمين ومحمد حلمى محمد أحمد الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م .

(٢) تاريخ يحى بن سعيد ص١٩٤ ،
نورمان بينز : الأمبراطورية البيزنطية ص٣٨٢ . (مترجم) .

كـان مـن أثـر سياسـة الحـاكم بـأمر الله العدائيـة إزاء النصــارى أن عمــد الأمبراطور البيزنطى باسيل الثانى إلى قطع علاقتـه بالدولـة الفاطميـة[1] ، وأصـدر أوامره بمنع رعاياه من السفر إلى مصر سنة ٤٠٦هـ / ١٠١٥م ، كما حرم المتاجرة معها[2] ، مما أدى إلى انقطاع سبل الاتصال بين الدولتين .

علـى أن العلاقـات مـالبثت أن تحسـنت بـين الدولـتين فـى سـنه ٤١٨هــ / ١٠٢٧م حيث أبرمــت معـاهدة بـين الخليفـة الظـاهر لاعـزاز ديـن الله (٤١١ - ٤٢٧هـ / ١٠٢١ - ١٠٣٥م) والامبراطور البيزنطى قسطنطين الثـامن (١٠٢٥ - ١٠٢٨م / ٤١٦ - ٤١٩هـ)[3] تضمنت ما يلى[4] :

---

(١) يحى بن سعيد : التاريخ المجموع ص ١٩٥ - ص١٩٦ ، ناصر خسرو : سفرنامة ص٧٥.، المقريزى ، اتعاظ الحنفا جـ٢ ص٧٤ - ٧٥ تحقيق / محمد حلمى محمد أحمد القاهرة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٦٧ - ١٩٧٣م .

ايمن فؤاد سيد : الدولة الفاطمية ص١٠٢ .

Canard , M ; " La destruction de L' eglise de la reasurre ction par le calife Hakin et l'histoire de le descent du Feu Sacre " Byzantion XXX V . p. p. 16 - 43 (1965) .

(٢) يحيى بن سعيد : ص٢١٤ .

(٣) توفى باسيل الثانى فجأة وهو فى الثمانين من عمره سنة ١٠٢٥م / ٤١٦هــ وتمثـل وفاتـه نقطة تحول خطيرة فى تاريخ الأمبراطورية نظراً لما أعقب هذه الوفاة مـن انحـلال ظـاهر فـى أحوال تلك الإمبراطورية الخارجية والداخلية ، ذلـك أن باسـيل الثـانى لم يـترك ولـداً يرثـه فانفرد أخوه قسطنطين الثامن بعرش الإمبراطورية

Ostrogorsky : Hist , of the Byzantine State P. 283 (Oxford 1956) .

سعيد عاشور : أوربا فى العصور الوسطى جـ١ ص ٤٢٥ .

(٤) يحى بن سعيد : ص٢٧٠ - ٢٧٢

Wiet (G) : Histoire de le Nation Egyptiene (L' Egypte Arabe) p. p. 222 - 223 .

١ - أن يسمح للأمبراطور البيزنطى بإعادة بناء كنيسة القيامة فى بيت المقدس .

٢ - أن يسمح لكافة المسيحيين بإعادة بناء الكنائس التى هدمها الحاكم عدا التى حولت إلى جوامع .

٣ - ترك الحرية الدينية للمسيحيين الذين تحولوا إلى الإسلام فى عهد الحاكم بالعودة إلى دينهم(١) .

٤ - أن يعين الإمبراطور البيزنطى بطريقاً فى بيت المقدس .

٥ - ألا يقوم الفاطميون بأى عمل عدائى نحو حلب(٢) حتى تقوم بسداد الجزية السنوية التى كانت تدفعها للدولة البيزنطية منذ عام ٩٧٠م / ٣٦٠هـ .

٦ - ألا تمد الدولة الفاطمية يد المساعدة لأى عدو من أعداء الدولة البيزنطية خاصة أهل صقلية الذين هددوا هذه الدولة وعاثوا فساداً فى جزر الأرخبيل ، وكان الإمبراطور يخشى انضمام الأسطول الفاطمى إلى هؤلاء فيتعذر عليه اخضاعهم .

وفى مقابل هذه الشروط يتعهد الإمبراطور بما يأتى :

١ - أن يعمل على ذكر اسم الخليفة الفاطمى فى الخطبة فى جامع القسطنطينية وتعيين مؤذن له(٣) ، وكذلك المساجد الواقعة داخل حدود الدولة البيزنطية.

---

(١) المقريزى : خطط جـ١ ص٣٥٥ .

(٢) غدت مدينة حلب أحد المنافذ الرئيسية للتجارة الرومانية مع العالم العربى فى الشرق وبلغ من أهميتها أن أن استثناها الإمبراطور باسيل الثانى من قرار تحريم الإتجار مع الخلافة الفاطمية فى مصر وقت اضطهاد الحاكم بأمر الله للمسيحيين عام ٤٠٧هـ / ١٠١٥م على حسنى الخربوطلى : البحر المتوسط بحيرة عربية ص٨٦ دار المعارف ١٩٦٣م .

(٣) نورمان بينز : الإمبراطورية البيزنطية ص٣٨٢ .

Shaban . M. A. B . : Islamic History . A. D . 750 - 1055 (A. H. 132 - 446) Anew interpretation . P . 209 (combridg 1967)

٢ - أن يعيد بناء جامع القسطنطينية([1]) .

٣ - أن يطلق سراح الأسرى المسلمين الذين فى قبضة الروم .

٤ - ألا يقدم الإمبراطور آية مساعدة حسان بن مفرج بن الجراح صاحب الرملة الذى خرج على الخليفة الظاهر الفاطمى .

٥ - أن يسحب الإمبراطور طلبه الخاص بالإستعاضة عن شيزر بأفامية .

وقد رمى البيزنطيون من وراء بناء مسجد للمسلمين فى القسطنطينية إلى تحسين علاقتهم بالدول الإسلامية ، فيخطبون للفاطمين تارة وللعباسيين تارة أخرى ، ويهدمون هذا المسجد إذا تعرض المسلمين لكنيسة القيامة ببيت المقدس([2]).

لم يلبث البيزنطيون أن نقضوا هذا الصلح سنة ٤٢٢هـ / ١٠٣٠م بايوائهم حسان بن مفرج بن الجراح الطائى ، كما أغار البيزنطيون على أفاميه واستولوا على قلعتها([3]) .

تحسنت العلاقات بين الفاطميين والبيزنطيين فى أوائل عهد المستنصر بالله الفاطمى (٤٢٧ - ٤٨٧هـ / ١٠٣٥ - ١٠٩٤م) فعقد

---

(١) يذكر المقريزى : خطط حـ١ ص٣٥٥ فى حوادث سنة ثمان عشرة (وأربعمائه) أن "وقعت الهدنة مع صاحب الروم وخطب للظاهر فى بلاده ، وأعاد الجامع بقسطنطينية وعمل فيه موذناً ، فأعاد الظاهر كنيسة قمامة بالقدس " .

انظر : بدر عبد الرحمن : تطور العلاقات الفاطمية البيزنطية ص ٣٠ هامش (١) .

(٢) حسن إبراهيم حسن :تاريخ الدولة الفاطمية ص ٢٥٨ .

(٣) أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر حـ٢ ص ١٥٨ .

هذا الخليفة هدنة مع الإمبراطور البيزنطى ميخائيل الرابع([1]) سنة ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧م وسمح له بإتمام إصلاح كنيسة القيامة فى بيت المقدس ، على أن يطلق سراح خمسة آلاف أسير مسلم([2]) ، وليس أدل على تحسن العلاقات مع البيزنطيين من ارسال الإمبراطور قسطنطين التاسع (١٠٤٢ - ١٠٥٤م / ٤٣٤ - ٤٤٦هـ) أثر توليه الحكم هدية إلى الخليفة المستنصر بالله سنة ٤٣٧هـ / ١٠٤٥م عبارة عن ثلاثين قنطار من الذهب الأحمر كل قنطار منها عشرة آلاف دينار عربية([3]) . فضلاً عن أعداد من الخيول وكميات من الأقمشة المختلفة ، وقاد القافلة التى قدمت من القسطنطينية مائتان من أسرى المسلمين([4]) . وقد نجحت المفاوضات فى عقد هدنة بين الجانبين سنة ٤٣٩هـ / ١٠٤٧م([5]) .

---

(١) ميخائيل الرابع (البلا فلاحونى) حكم من سنة ١٠٣٤ - ١٠٤١م / ٤٢٦ - ٤٣٣هـ) عمر كمال توفيق : تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ص٢٤٠ .

(٢) ابن الأثير جـ٨ ص١٦ مطبعة الاستقامة ، أحمد عبد الكريم سليمان : المسلمون والصليبيون فى شرق البحر المتوسط فيما بين القرنين الثالث والسادس الهجرى ، التاسع والثانى عشر الميلادى حـ١ ص٢٠٦ مطبعة السعادة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، المقريزى : خطط حـ١ ص٣٣٥ .

(٣) الابشيهى : المستطرف فى كل فن مستظرف حـ٢ ص٥٤ .
زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين ص ٨١ .

(٤) ابن الزبير : القاضى الرشيد (القرن الخامس الهجرى) كتاب الذخائر والتحف ص٧٤ - ٧٥ تحقيق / محمد حميد الله الكويت ١٩٥٩م .

(٥) ابن الأثير : حـ٨ ص ٤٦
Cambridge Medieval History Vol , IV. p . 726 (New Edition 1967).

استغل الخليفة المستنصر فرصة تحسن العلاقات مع البيزنطيين([1]) ، لمواجهة نقص الغلال في دولته ، فطلب من الإمبراطور قسطنطين التاسع سنة ٤٤٦هـ / ١٠٥٤م أن يمده بالغلال فأطلق له أربعمائة ألف أردب([2]) ألا أنه بعد وفاته طلبت أرملته الإمبراطورة ثيودورا (١٠٥٤ - ١٠٥٦م / ٤٤٦ - ٤٤٨هـ) من المستنصر أن يمدها بالجند إذا اعتدى عليها معتد ، فرفض المستنصر ذلك الشرط فعاقت عنه الغلال([3]) . الأمر الذى أثار غضب الخليفة المستنصر فأرسل حملة بقيادة مكين الدولة الحسن بن ملهم إلى افاميه وانطاكية([4]) ، فأرسلت الإمبراطورة حملة بحرية أوقعت الهزيمة بمكين الدولة وأسر هو وكثير من جنده سنة٤٤٧ هـ / ١٠٥٠م الأمر الذى حمل المستنصر على أن يعهد للقاضى أبى عبد الله القضاعى بالذهاب إلى القسطنطينية لتسوية الخلاف بين الدولتين ، فلم تحفل الإمبراطورة بوجوده ، على حين رحبت برسول السلطان السلجوقى طغرلبك([5]) ، الذى قدم

---

(١) يذكر النويرى : نهاية الأدب حـ٢٨ ص٢١٩ فى أحداث سنة ٤٤٣هـ ." أظهر المعز بن باديس الصنهاجى صاحب أفريقية الخلاف على المستنصر بالله ... وكتب المعز إلى بغداد فأجيب عن رسالته على لسان رسول من بغداد ويعرف بأبى غالب الشيرازى ، وسير إليه صحبته عهد بالولاية ولواء أسود وخلعة فأجتاز أبو غالب ببلاد الروم فقبض عليه صاحب القسطنطينية (قسطنطين التاسع) وبعثه إلى المستنصر بالله .

(٢) ابن ميسر : أخبار مصر ص٦ ، ص٧ ، العينى : عقد الجمان حـ٢ ورقه ٨٥ مخطوط بدار الكتب رقم ١٥٨٤ تاريخ .

(٣) ابن ميسر : نفسه ص٧ .

(٤) المقريزى : خطط حـ١ ص٣٣٥ .

(٥) كانت الخلافة العباسية فى ذلك الوقت تعانى حالة خطيرة من الضعف والانهاك فلم يسع الخليفة القائم بأمر الله إلا أن يعترف طغرلبك الذى دخل بغداد سنة ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م

إذ ذاك من العراق ومعه رسالة من السلطان يلتمس فيها أن يصلى رسوله فى جامع القسطنطينية ، فأذنت له بذلك ، فصلى الجمعة وأقام الخطبة للخليفة القائم بأمر الله العباسى[١] (٤٢٢ - ٤٦٧ هـ / ١٠٣١ - ١٠٧٥م) ولما وقف الخليفة المستنصر على سياسة الإمبراطورة العدائية ازاده ، واساءتها معاملة سفيره بعث فى طلب كنوز كنيسة القيامة ونفائسها ، فأرسلت إليه[٢] .

استمرت تلك السياسة العدائية بين الدولتين البيزنطية والفاطمية فى مصر حتى وجه الصليبيون حملاتهم إلى بلاد الشام واسسوا إمارتى انطاكية وبيت المقدس، وصاروا يشتبكون من وقت لآخر مع القوى الإسلامية بتلك البلاد وبخاصة فى عهد نور الدين محمود أمير حلب الذى ضم دمشق إليه سنة ٥٤٩هـ / ١١٥٤م[٣] .

لما أخذت الأخطار تواجه الفرنجة ببيت المقدس من جراء ازدياد نور الدين محمود ببلاد الشام وطموحه إلى بسط سلطانه على مصر ، بعث أمورى (عمورى)

وقام طغرلبك بالقضاء على ثورة اليساسيرى الموالية للخلافة الفاطمية ، ثم اخضع الموصل وديار بكر وغيرها من الأطراف الغربية للدولة . ومنذ ذلك الوقت حل السلاجقة محل البويهين فى السيطرة على الخلافة العباسية .

ابن الأثير حـ٩ ص٢٥٤ ، ص٢٥٥ ، ابن خلدون : العبر حـ٣ ص٤٥٩ ، محمد محمود إدريس : تاريخ العراق والمشرق الإسلامى خلال العصر السلجوقى الأول ص ٩٥ ، ٩٩ ، ١٠٠ مكتبة نهضة الشرق ١٩٨٥م .

(١) المقريزى : خطط حـ١ ص٣٣٥

(2) Lane Poole : A. Hist, of Egypt . P. 148 .

ابن ميسر : أخبار مصر ص ٧

(٣) جمال سرور : سياسة الفاطمين الخارجية ص ٢٤٧

ملك بيت المقدس يستنجد بملوك أوربا لوقف الخطر الذى يهدد الإمارات اللاتينية بالشام لكنهم شغلوا عنه ، لذلك لم يربدا من الاستعانة بالإمبراطور البيزنطى مانويل[١] (١١٤٣ - ١١٨٠م) واتفقا على السير معاً إلى مصر وأنفذا اسطولا بحرياً يعاونه جيش برى وصل إلى دمياط سنة ٥٦٥هـ / ١١٦٩م[٢] . إلا أن هذه الحملة لم تنجح بسبب اغارة نور الدين محمود على بلاد الشام بالإضافة إلى وقوع الخلف بين قواد الحملة[٣] .

دور التجار فى تنشيط حركة التجارة :

لم تمنع الحروب المتواصلة بين المسلمين والبيزنطيين فى شرق البحر المتوسط فى استمرار التجارة بينهما ، فالموقع الجغرافى لكلا العالمين البيزنطى والإسلامى ووقوعهما على طريق القوافل التجارية القادمة من أوربا والشرق الأقصى قد سهل كثيراً من عملية التبادل التجارى بينهما ، وقد قام بمهمة التسويق التجارى فى أراضى الجانبين تجار محترفون من المسلمين والبيزنطيين ، كما قام بتلك المهمة أيضاً السفراء المكلفون بمهام دبلوماسية[٤] .

ومن الجدير بالذكر أن السياسة التجارية للإمبراطورية البيزنطية شجعت مواطنيها على المتاجرة مع البلاد الأخرى والدليل على ذلك ما أصدره الإمبراطور

---

(١) توفى أبوه حنا كومنين من جرح فى ذراعه من سهم مسموم بينما كان فى طريقه لمحاربة الأتراك سنة ١١٤٣م .

Vasiliev , : Byzantine Empir . 1 . p. 416 3rd Edition (Madison 1961)

حسنين ربيع: دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية ص٢١٧ دار النهضة العربية ١٤٠٣هـ/١٩٨٦م

(٢) المقريزى : خطط حـ١ ص ٢١٥ .

(٣) جمال سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ص ٢٤٨ .

(٤) القلقشندى : صبح الأعشى : حـ٧ ص ١٠ - ص١٨ القاهرة ١٩١٣م .

ليو الثالث الأيسورى (٧١٧ - ٧٤١م / ٩٩ - ١٢٤هـ) من تشريعات بحرية أهمها " القانون الرودس "(١) الذى صار بمقتضاه ربابنة السفن أحرار فى تصرفهم، لهم أن يتجهوا للحصول على شحنات لسفنهم حيث شاؤا(٢) . مما يعنى أن الأمبراطورية فى ذلك الوقت بدأت تغير تفكيرها فبدلاً من أن تستورد البضائع مباشرة من الخارج فضل البيزنطيون ترك مهمة جلب هذه المتاجر إلى آخرين ، فقد شجعوا الأجانب أن يأتوا ويبيعوا ويشتروا فى أسواق القسطنطينية ، فأصبحت القسطنطينية بذلك مركز العالم التجارى ، وملتقى جميع الأجناس حتى وصلت إلى مرحلة كبيرة من الثراء وارتفع مستوى دخلها وتعددت أنواع البضائع التى اكتظت بها اسواقها فرأت الحكومة فى ذلك زيادة فى مركز وقوة العاصمة حتى غدت القسطنطينية منافساً خطيراً للعالم الغربى(٣) .

وتشير المصادر العربية والبيزنطية فى القرنين الرابع والخامس الهجريين (العاشر والحادى عشر الميلاديين) إلى تواجد جاليات من كلا الجانبين المسلمين والبيزنطيين مارست التجارة بحرية وأمان فى أرض الجانب الآخر ويتحدث كتاب " والى المدينة " الذى ألف فى القرن العاشر الميلادى عن التجارى السوريين(٤) فى القسطنطينية وعن النظام الذى خضعوا له كسائر التجار الأجانب ، وكان يقضى

---

(١) من أهم ملاحق الاطلوحا . وهو عبارة عن قانون بحرى تجارى يبحث فى توزيع المسئوليات عند تعرض السلع التجارية لخطر أما من جراء العواصف البحرية أو القرصنة اسدرستم : الروم ص٣٠١ بيروت ١٩٥٥م .

(2) Charanis : The social strucure of the later Roman Empire in Byzantine. p. 55 (Londan 1942) .

(٣) عفاف صبرة : المرجع السابق ص ٣٥٣ - ص٣٥٤ .

(٤) وكانت بلاد الشام فى ذلك الوقت ضمن أجزاء الدولة الفاطمية فى مصر والشام .

بالإنتهاء من المتاجر خلال ثلاثة شهور ، ثم اخطار الوالى بالفائض لديهم من السلع([1]) .

وفى مدينة طرابيزون التى تقع على الحدود الأرمينية وعلى طريق القوافل القادمة بالسلع من الصين والهند وفارس تواجد أيضاً التجار المسلمون . وقد وصفها ابن حوقل بأنها " مدينة يجتمع فيها التجار من بلد الإسلام فيدخلون فيها إلى بلد الروم للتجارة "([2]) .

وكانت مصر لفترة طويلة من العصور الوسطى مركزاً هاماً للتجارة الدولية وبالتالى فقد كانت تعج بالعديد من التجار الأجانب القادمين من خارج " دار الإسلام " والذين كانوا يصلون إلى الموانى الساحلية ، ويعنى بهم التجار القادمون من أوربا المسيحية ، وبيزنطة الذين كانوا يقصدون موانى البحر المتوسط . كان هؤلاء التجار يصلون إلى الأسكندرية وأحياناً إلى دمياط وحتى تنيس . ولم تكن هناك ضرورة لتوجههم إلى داخل البلاد أو حتى الفسطاط ، حيث كان هناك وسطاء محليون يقومون بنقل البضائع التى أحضروها أو التى يحتاجون إليها([3]) .

وعلى الرغم من المنازعات السياسية بين مصر والدولة البيزنطية ، إلا أنها لم تؤد إلى وقف العلاقات التجارية ، فعلى الرغم من وقوع القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية على الطرق التى تربط آسيا وأوربا ، مما سهل وصول الغلات إليها من وسط آسيا وشرقها بالطريق البرى ، دون أن تعتمد على مصر أو بلاد

---

(١) الباز العرينى : كتاب والى المدينة ص١٥٧ وما بعدها مجلة كلية الأداب العدد ١٩ جـ١ ١٩٥٧م .

(٢) صورة الأرض ص ٣٤٤ ليدن ١٩٦٧م .

(3) Cahen (Claud) : Les Marchands etrangers au caire sous les fatimides et les Ayyoubides C.I.H.C. p. 97 .

الشام([١]) . إلا أن ذلك لم يمنع من أن الدولة البيزنطية كانت ترغب فى منتجات مصر ، وخاصة المنسوجات التى كثيراً ما كان الأباطرة البيزنطيون فى القرنين التاسع والعاشر الميلاديين (الثالث والرابع الهجريين) يبعثون فى طلبها لتزيين قصورهم([٢]) .

وبلغت منتجات تنيس من المنسوجات شهرة فائقة فى الدولة البيزنطية إلى درجة دفعت ناصر خسروا الرحالة الفارسى إلى القول بأن سلطان الروم (الأمبراطور البيزنطى) عرض على سلطان مصر (الخليفة الفاطمى) أن يعطيه مائة مدينة على أن يأخذها فلم يقبل السلطان([٣]) . كذلك كان لمنسوجات دمياط الممتازة شهرتها إلى جوار منسوجات تنيس .

وكان تحسن العلاقات بين مصر والدولة البيزنطية يعنى سهولة حصولها على غلات روسيا والجهات الواقعهة بجوار البحر الأسود ، المجاورة لبيزنطة ، وكانت تربطها بعاصمة الدولة البيزنطية طرق برية([٤]) .

وكان القمح من أهم المحاصيل التى تستوردها مصر من الدولة البيزنطية ، خاصة فى فترات الأزمات الاقتصادية وإنخفاض مياه النيل ، وقد رأينا كيف نجح الخليفة المستنصر با لله فى عقد اتفاقية تجارية مع الإمبراطور البيزنطى قسطنطين

---

(١) جمال سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق ص ١٥٨ .

(2) Heyd : Hist , du commerce . T, I, p.p. 199 - 210 .

(٣) ناصر خسرو : سفر نامة ص٣٨ .

(٤) راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية فى عهد الفاطميين ص ٢٢٦ القاهرة ١٩٤٨م ط أولى ومن السلع التى كانت تصل مصر من بيزنطة حتى سنة ٣٥٠هـ الديباج والحرير والمرجان والعنبر والزعفران . الكندى فضائل مصر ص ٧١ .

التاسع سنة ٤٤٦هـ / ١٠٥٤م يتم بمقتضاها تصديراً ربعمائة ألف أردب قمح من بيزنطة إلى مصر(١) .

وكثيراً ما كانت تبحر السفن المصرية إلى القسطنطينية(٢) ، فقد رأى الرحالة بنيامين التطيلى بها تجاراً من جميع أنحاء العالم من بينهم تجار من مصر(٣) . وكان يقيم بها جالية إسلامية لهم جامع تقام فيه الخطبة للخليفة الفاطمى عندما تصفوا العلاقات بين البلدين ، وفى حالة توترها تقام الخطبة للخليفة العباسى(٤).

وكان للروم جالية حيث أقاموا فى حى خاص بهم فى مدينة القاهرة(٥) ، كما كان كثير من تجار الروم يقيمون بالقرب من ميناء المقس بالقاهرة ، وقد اتهموا بحرق الأسطول المصرى فى عهد الخليفة العزيز با لله الفاطمى(٦) .

---

(١) ابن ميسر : أخبار مصر ص ٦ – ص٧ ، العينى : عقد الجمان حـ٢٠ ورقة ٨٥ (مخطوط) .

(2) Beazley : Dawn of Modern Geagraphy Vol ., ll, p. 122

(3) Beazley : Damn of Modern Geagraphy Vol ., ll, p. 122

راشد البراوى : نفسه ص ٢٢٧ .

Mann (Jacob) : the Jews in Egypt . p. 214 .

(٤) ابن ميسر : أخبار مصر حـ٧ .

(٥) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة حـ٤ ص ٤٢ ، ناصر خسرو : سفر نامة ص٥٥ .

(٦) يحى بن سعيد الانطاكى : تكملة كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق حـ١ ص١٧٨ بيروت ١٩٠٥م .

وقد وردت الإشارة إلى ذلك فى حديث المقريزى بهذا الخصوص فى الخطط حـ٢ ص١٩٥ – ص١٩٦ .

السلع المتبادلة :

كان لطبيعة مصر الزراعية أثره فى تصدير ما يفيض عن حاجتها من القمح، فقد كان يحمل من الأسكندرية ودمياط وتنيس وعسقلان وصور مائة وعشرين ألف أردب من الغلال(١) . فضلاً عما كان يحمل إلى بلاد الحجاز(٢) . على أن ذلك لم يمنع من أن تسد مصر حاجتها من الغلال فى وقت الأزمات من الدولة البيزنطية(٣) .

وكانت بعض المنسوجات التى تصنع فى دبيق ودمياط وتنيس تصدر إلى الأقطار الإسلامية والأوربية . فقد كان يحمل من انتاج تنيس إلى العراق حتى سنة ٣٦٠هـ / ٩٧٠م ما قيمته عشرون ألف دينار(٤) ، كذلك كان انتاج تنيس مطلوباً فى بلاد الدولة البيزنطية(٥) . وكان إنتاج دبيق من الجودة حتى أن الحلة منها كان يصل ثمنها فى القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) إلى خمسمائة دينار(٦) ، كما كانت منسوجات شطا ودمياط لها سوقها

---

(١) المقريزى : خطط حـ١ ص٤٦٥ ..

(٢) المقدس : أحسن التقاسيم ص١٩٥ .

(٣) فقد نجح الخليفة المنتصر با لله الفاطمى فى عقد اتفاقية تجارية مع الإمبراطور البيزنطى قطسنطين التاسع سنة ٤٤٦هـ/ ١٠٥٤م . يتم بمقتضاها تصدير أربعمائة ألف إردب قمح من بيزنطة إلى مصر . ابن ميسر : أخبار مصر ص ٦ - ص٧ .
العينى : عقد الجمان فى تاريخ أهل الرمان حـ٢٠ ورقة ٨٥ (مخطوط) .

(٤) ابن حوقل : صورة الأرض حـ١٥٢ - ص ١٥٣ ليدن ١٩٦٧م .

(٥) ناصر خسرو : سفر نامة ص ٣٨ .

(6) Ashtor (Eliyahu) : Le cout de la vie dans l'Egypte Medievale . p62 (J.E.S.H.O.V.III. part I 1960) .

حيث كان الثوب من انتاجها يبلغ في أسواق مصر ثلاثمائة درهم أي بعشرين ديناراً(1) .

وكانت الدولة البيزنطية ترغب في منتجات مصر وخاصة المنسوجات التي كثيراً ما كان الاباطرة البيزنطيون في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين (الثالث والرابع الهجريين) يبعثون في طلبها لتزيين قصورهم(2) .

وكانت الحكومة الفاطمية تحتكر الشب والنطرون ، وتبيعه لتجار الروم في الأسكندرية لاستخدامه في الصباغة(3) . وكان الفائض عن حاجة الروم يباع بسبعين درهماً للقنطار(4) .

وكانت التوابل والعطور من أهم واردات مصر . وكان يرد إلى مصر في العصر الفاطمي كميات كبيرة من التوابل ، من ساحل ملبار وجزر الهند الشرقية وشبه جزيرة الملايو ، وبلغ من كثرتها أنها كانت تترك في أسواق عيذاب بدون حراسة(5) .

وكان الفلفل يرد إلى ثغر عيذاب ، ولم تكن هناك ضوابط لسعره ، فأحياناً يرتفع ارتفاعاً كبيراً وأحياناً ينخفض إنخفاضاً مفاجئاً في وقت متقارب ، وكان ارتفاع أسعار الفلفل في أسواق مصر يرجع لعاملين : أولهما قلة الكمية المجلوبة ،

---

(1) Ashtor : op cit . p147 .

(2) Heyd : Hist, du commerce . T.I,P.P.199 - 210 .

(٣) ابن مماتي : قوانين الدواوين ص٣٢٨ .

(٤) نفس المصدر : ص ٣٣٤ .

(٥) ابن جبير : رحلته ص ٤٠ .

وثانيها مدى حاجة تجار الغرب لهذه السلعة ، وقد ترواح سعر قنطار الفلفل فى المتوسط ما بين عشرة وخمسة وعشرين ديناراً وكان سعر الحملة[١] ، يتراوح ما بين خمسين ومائة وخمسة وعشرين ديناراً . خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين (الحادى عشر والثانى عشر الميلاديين)[٢] .

وفى فترة الحروب الصليبية ارتفع سعر القنطار إلى خمسة وعشرين ديناراً لقلة الكمية المجلوبة منه[٣] ، ووصل سعر قنطار الفلفل الأبيض فى النصف الأول من القرن الخامس الهجرى إلى مائة وخمسة دنانير . وهو سعر يزيد أكثر من الضعف بالنسبة للفلفل الأسود[٤] ، أما الدارصينى (القرفة) فكان سعرها يصل إلى سعر الفلفل أو يزيد قليلاً حيث كانت تجارتها مربحة ، وبلغ ثمن القنطار منها فى الأسواق مبلغ خمسة دنانير وربع دينار[٥] .

وكانت مصر تستورد المسك من جزر الهند الشرقية وبلاد الملايو[٦] . ووصل سعر الزجاجة منه فى النصف الثانى من القرن الخامس الهجرى ٥,٣

---

(١) الحملة = تساوى ثلثمائة رطل مصرى . ابن مماتى : قوانين الدواوين ص ٣٦٥ .

(2) Ashtor : Histoire des prix des salaires dans l'orient Medeval. p. 1339 (paris 1969) .

(3) Ashtor : Materiaux pour l'Histoire des prix dans l'Egypte Medevale. p. 161 (J.E.S.H.O.V.IV 1963) .

(4) Ashtor : Ibid .

والفلفل الأبيض يدخل فى الأدوية ولا يدخل فى الأغذية . الدمشقى : الإشارة ص٢٢ .

(5) Ashtor : Hist , des prix . p164 .

(٦) حسن إبراهيم حسن : الدولة الفاطمية ص٦١٦ وأعظم مواطنه بلاد التيت ، ويفوق غيره من المسوك جودة وثمناً . ابن حوقل : المسالك والممالك ص٣٢٧ ، ٣٣٧ .

ديناراً(١) . واستورد الكافور من ساحل زنجبار(٢) ، وبيع المن منه بثمانية دنانير(٣). وأجوده ما حلا ذوقه وعذب ريحه فلم تظهر فيه نفطية(٤) .

أما العود فكان يجلب من جزر الهند الشرقية وبلاد الملايو(٥) ، وبيع الرطل منه بمبلغ ٥,٢٨ درهم(٦) . وجلب العنبر أيضاً من جزر الهند الشرقية وبخاصة من جزيرة جاوة(٧) وأجوده ما جلب من شحر عمان ، ثم المغربي وأحسنه الند(٨). أما اللبان فاستوردته مصر من شحر عمان(٩) ، ومن سومطرة استوردت اللبان الجاوى(١٠) . وكان متوسط سعر القنطار ستة عشر ديناراً ، ووصل أعلى سعر له اثنين وثلاثين ديناراً ، وذلك فى النصف الأول فى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى)(١١) .

---

(1) Ashtor : Hist, des prix. p.p.164 .

(٢) حسن إبراهيم حسن : الدولة الفاطمية ص ٦١٦

(3) Ashtor : op cit . p.p. 140, 179 .

والمن = ٨١٢,٥ جرام .

(٤) الدمشقى : الإشارة ص١٩

(٥) حسن إبراهيم حسن : نفسه ص٦١٦ وجلب من سوقطرى أجود أنواعه

Heyd : T, 11 p 561

(٦) انظر ماكتبه الجاحظ فى التبصر بالتجارة ص١٦ ، ص٢٥ فى باب فى معرفة الطيب حسن إبراهيم حسن . الدولة الفاطمية ص٦١٦

(٧) الدمشقى : الإشارة ص ١٩

(٨) الدمشقى : الإشارة ص١٩

(٩) نفسه .

(10) Heyd : Hist, du commerce , Tom, II,p.560 .

(11) Ashtor : Hist, des prix. p. 174 .

وكانت القسطنطينية أكبر سوق تجارى للدولة البيزنطية ، وقد زخرت أسواقها بعديد من المتاجر القادمة من الشرق والغرب ، وقد تعددت السلع التجارية ومن أهمها التوابل والعقاقير الطبية والنجوم والعطور ومواد الصناعة والصباغة(١) .

ويحتل الفلفل أهم سلعة لهذه التجارة ، وقد تسابق التجار فى الحصول على أكبر قدر منه عن طريق تجارة البحر الأحمر المارة بمصر ، نظراً لتعدد استخداماته فى علاج بعض الأمراض وادخاله فى صناعة النبيذ وحفظ الطعام(٢) .

وكانت مصر تستورد الحرير من الهند والصين ، فضلاً عما كان يرد إليها من جزيرة صقلية وبلاد الأندلس . وكان لتجارة الحرير نظام خاص ، فتجار الغرب كانوا يدفعون لتجار الشرق (من المصريين) ثمن السلعة حريراً بدلاً من الذهب . وبلغ رطل الحرير فى الثلاثينات من القرنين الخامس والسادس الهجريين دينارين ، وكان سعر رطل الحرير المغربى فى أسواق مصر دينار ونصف ، والحرير الصقلى دينارين ونصف فى منتصف القرن الخامس الهجرى ، ولهذا كانت الأرباح الناتجة من تجارة الحرير أقل منها فى تجارة الفلفل ، ويرجع ذلك إلى قلة الكمية المصدرة منه وكثرة عدد المشتغلين بتجارته(٣) .

أما الجواهر والأحجار الكريمة فقد عظم الإقبال على التحلى والتزين بها فى العصر الفاطمى ، ولذا كانت تجارته رائجة فى العصور الوسطى ، ففى القرن

---

(١) عفاف صبرة : نفس المرجع ص ٣٥٩ .

(2) Heyd : opcit . p.663 .

(3) Goitein : A Mediterranean Society . p.p. 222-23-24 .

الخامس الهجرى كان سعر الدرهم من اللؤلؤ يساوى ٤٠,٧ ديناراً[١] ، كذلك بلغ رطل المرجان سنة ٤٩٢هـ / ١٠٩٨م حوالى دينار ونصف[٢] .

أما اللؤلؤ ، فكان النفيس منه يسرتديب وكيش وعمان والبحرين وأفخر ما يوجد ببحر القلزم[٣] وكان الياقوت من الأحجار المشعة ومن خواصه أنه إذا خرج من النار برد بسرعة[٤] . وكان الفص الحسن الشكل السالم من الثقوب والتشعير والعيوب ، أحمر قانى اللون رطباً يساوى وزن المثقال منه أربعمائة دينار ، ونصف المثقال يساوى خمسين ديناراً وثلث المثقال خمسة عشر ديناراً وربع المثقال ستة دنانير[٥] ، كما جلب الماس

---

(1) Ashtor : le cout de la vie .p.221 (J.E..S.H.O.V,III part I 1960) .

وخير أنواعه العمانى المستوى الجسد ، الشديد التدحرج والاستواء . الجاحظ : التبصر ص١٢

(2) Ashtor : op cit . p . 221 .

وكان المرجان يجمع من تونس وبعض شواطئ أوربا ، ثم يرسل إلى مصر ليصدر منها إلى بلاد الشرق المختلفة ، وقد وردت فى إحدى رسائل الجنيزة شكوى لتاجر من الأسكندرية بسبب تأخر وصول المرجان من بلاد الروم والغرب إلى مصر .

Goitein : A medilerranean Society of the High Middle Ages . p.47 (New York 1967) .

(٣) القلقشندى : صبح الأعشى جـ٢ ص ٩٥ ، ص٩٦ .

(٤) نفس المصدر جـ٢ ص ٩٨ .

(٥) الدمشقى : الإشارة إلى محاسن التجارة ص ١٤ ويعتبر : السفير " Sapphiro (الياقوت الأزرق) من الجواهر التى تزين بها الملوك أصابعهم .

سونيا . ى . هاو : فى طلب التوابل ص ١٨ مكتبة النهضة ١٩٥٧م .

من جزيـرة سـيلان وسـاحل أفريقيـا الجنوبـى الشـرقى(١) .

وكان البيزنطيون يستوردون الحرير(٢) من الصين واللآلئ والأحجار الكريمة من الهند ومن بغداد وسوريا يجلبون الأقمشة الحريرية والكتانية ، والسجاد الفاخر، وكانت دمشق وحلب وانطاكية المراكز الرئيسية للتجارة العربية(٣) .

وأدى إقبال الناس على السلع الكمالية إلى ثراء القسطنطينية ، التى استفادت كثيراً من المتاجرة فى هذه البضائع الشرقية ، وزادت الرغبة فى هذه البضائع زيـادة كبيرة منذ القرن التاسع الميلادى (الثالث الهجرى) بين رجال القصر الإمبراطورى وكبار رجال الدولة وأغنياؤها خاصة الحرير والعاج والأحجار الكريمة(٤) .

وكانت مصر تستورد الأخشـاب وخاصـة خشـب السـاج لصنـع المحـاريت والأبواب للمسـاجد والقصـور شـبه جزيـرة الملايـو(٥) . وكـان المتجـر الحكومـى

---

(١) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولـة الفاطميـة ص٦١٥ . وكـان زمـرد مصـر لـه شـهرة كبيرة فى بلاد الهند والصين ومن أصنافـه الذبـابى والريحـانى والسـلقى والصـابونى سلسـلة التواريخ ص١٤٧ طبع رينو .

التيفاشى : أزهار الأفكار فى جواهر الأحجار ص١٥ (فرنسا ١٨١٨ م) .

(٢) يقول نورمان بينز : الإمبراطورية البيزنطية ص ٢٧٦ " أن الإقبال على الحريـر زاد بصـورة مطردة مع ذيادة أسباب الترف وأصبح لبس الثياب الحريرية مألوفًا وأخذت الكنسية ترحب بهدايا من هذه المادة الثمينة للألبسـة الكهنوئيـة والسـتروالاغطية ولـتزين المذابـح ، بعـد أن كانت ترفض فى أول الأمر استخدام الحرير فى الأغراض الدينية " .

(٣) عفاف صبرة : نفس المرجع السابق ص ٣٦٠ .

(4) David . Rice : opcit . p. 116 .

عفاف صبرة : نفس المرجع ص٣٦٠ .

(٥) راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ص ٢٦١ .

يشترى لحسابه الخشب والحديد والرصاص والمعادن التى ترد إلى الديار المصرية ، ويقوم المتجر ببيعه للتجار مقابل ربح بسيط . وعند حاجة الدولة لأى من هذه المواد لبناء المراكب أو لعمارة الحصون وخزائن السلاح كانت تشتريها بأسعار عالية تصل أحياناً إلى الضعف من نفس التجار الذين اشتروها من المتجر فيتحقق لهم من وراء ذلك أرباحاً طائلة من الحكومة([1]) .

وكانت الإمبراطورية البيزنطية فى فترة عدائها مع الخلافة الفاطمية قد طلبت من حاكم البندقية عدم توريد الخشب الخاص ببناء السفن فى مصر ، وقد اضطر حاكم البندقية إلى اصدار وثيقة فى عام ٩٧١م / ٣٦١هـ أثناء حكم الإمبراطور يوحنا تزيمكس([2]) يتعهد فيها بعدم المتاجرة مع المسلمين فى المواد التى سيترتب عليها الحاق الضرر بالمسيحين كالأخشاب اللازمة لبناء السفن([3]) . إلا أن البنادقة عادوا ثانية إلى تصدير الخشب إلى مصر ، الأمر الذى حمل هذا الإمبراطور على الشكوى([4]) . والتهديد بالانتقام ، فأصدرت الحكومة البندقية أمراً بمنع تصدير الأخشاب

---

(١) النابلس : لمع القوانين المضيئة ص ٤٥ – ص٤٦ نشر كلود كاهن دمشق ١٩٦١م .

(٢) حكم من سنة ٩٦٩ إلى سنة ٩٧٦م / ٣٥٨ – ٣٦٦هـ .

Cambridge Medieval History : vol , IV . p. 113 .

(3) Lopez : Trade in the mediterranean world . p334 (London 1995) .

أحمد عبد الكريم سليمان : المسلمون والبيزنطيون ص٢٧٠ وكان تحالف البندقية مع بيزنطة وثيقا حتى أنه كان لهم نظام خاص يكفل اعفائهم من بعض القيود ومعاهدات تجارية منذ عهد الإمبراطور الثانى كفلت للبنادقة تخفيضًا هاما فى الضرائب الجمركية . شارل ديل : البندقية جمهورية ارستقراطية ص١٩

(4) Heyd : Hist , du commerce . tom , I,p.113 .

اللازمة لبناء السفن . وكان لهذا القرار أثره البالغ[١] . إذ ترتب عليه عدم توافر الأخشاب الصالحة لصناعة السفن للأسطول الفاطمى[٢] .

ومن الجدير بالذكر أن الأسطول الفاطمى الذى كان معداً لصد تقدم البيزنطيين فى بلاد الشام اشتعلت فيه النيران فى ميناء المقس بالقاهرة واحرقت منه ستة عشر مركباً واضطر الوزير عيس بن نسطورس أن يجمع الأخشاب لأعادة بناء الإسطول بناء على أوامر الخليفة العزيز با لله ، حتى أنه اضطر إلى الاستيلاء على خشب اسقف بعض المنازل[٣] .

أما عن المواد الغذائية فلم تكن سفن التجار الأوربيين تصل إلى موانى مصر خالية ، ولكنها كانت تحمل معها منتجات أوربا التى اشتهرت بها ، وكان لها أسواقها ، وكان الجبن أكثر ما تطرحه السفن ، فقد كانت مصر تستورد من الجبن كميات كبيرة من بلاد أوربا ومن صقلية وكريت وبلاد الروم[٤] . كما حمل البنادقة فى سفنهم اللحوم والأسماك المجففة[٥] . أما اللوز والفستق فكان الفاطميون يحصلون عليه من مواطنه كالهند والشام والمغرب[٦] . وكذلك كان يرد من الشام مقادير كبيرة من الفواكه التى تنمو هناك بكثرة ، كما كان التمر هندى يجلب من جزر الهند الشرقية[٧] .

---

(١) يحى بن سعيد : التاريخ المجموع ص ١٧٨ بيروت ١٩٠٩م .

(2) Heyd : op cit . p. p. 113 -1114 .

(٣) المقريزى : خطط حـ٢ ص ١٩٥ - ١٩٦

(4) Goitein : A mediterranean society .p.46 .

(٥) شارل ريل : البندقية ص ٣٥

(٦) ذكر البكرى : المغرب ص٤٧ أن قفصة أكثر بلاد القيروان فستقاً ومنه يحمل إلى مصر .

(٧) بوركهات : رحلات بوركهات فى بلاد النوبة والسودان ص٢٢٦ ترجمة / فؤاد أندراوس القاهرة ١٩٥٩م .

المنشآت التجارية :

كان من أثر نشاط الحركة التجارية فى مصر أن عملت الحكومة الفاطمية على تهيئة السبل أمام التجار ، حتى يستطيعوا مزاولة أعمالهم بسهولة ويسر . ولذا فقد اقيمت لهم منشآت تجارية تخدم نشاطهم منها القياسر والفنادق والخانات والوكالات .

القيسارية[١] :

كانت القيسارية مجموعة من المبانى العامة ، بها حوانيت ومصانع ومخازن ومساكن ، وكان فى بعض القياسر مساجد لتجار المسلمين ، ويعلوها رباع ذات مساكن يقيم فيها الصناع والتجار بأجر[٢] .

وكانت القيساربة تعرف باسم منشئها كقيسارية ابن ميسر ، أو باسم ما يباع فيها كقيسارية العصفر أو قيسارية العنبر[٣] . ومن القياسر التى ترجع إلى العصر الفاطمى بالفسطاط قيسارية المحلى[٤] : وكانت سكن الصوافين (تجار الصوف) بسوق الغرابليين والعطارين وكان يباع فيها سائر أنواع

---

(١) قيسارية : بمعنى سوق ، وأصل الكلمة بالرومية Caesaria وهى بناية محكمة تخزن فيها البضائع والنفائس الأجنبية . قوانين الدواوين ص٤٥٧

لويس برنارد : النقابات الإسلامية ص٦٩٦ مجلة الرسالة العدد ٣٥٥ القاهرة ١٩٤٠م ترجمة / عبد العزيز الدورى .

(٢) المقريزى : خطط حـ٢ ص ٨٧ ، ص٨٩

(٣) نفسه : حـ٢ ص ٨٦ - ٩١

(٤) نفسه : حـ٢ ص٨٦

الصوف والخيش وغيره ، يبتاعه تجار القاهرة فى أيام أسواق مصر (اليومية والأسبوعية)[١].

قيسارية ابن ميسر الكبرى : بسوق وردان بالفسطاط[٢] ، ادركها المقريزى وهى عامرة يباع فيها القماش الجديد من الكتاب الأبيض والأزرق والطرح ، ويمضى إليها تجار القاهرة يومى الأحد والأربعاء لشراء تلك الأصناف[٣] .

قيسارية ابن ميسر الصغرى : وكانت بسوق القشاشين بالفسطاط ، وكان يباع بها الصناديق وما شاكلها وكان بها جماعة من أعيان التجار[٤] .

قيسارية أبن أبى أسامة : وكانت على يسار السالك إلى بين القصرين ، وقفها الشيخ أبو الحسن على ، صاحب ديوان الإنشاء فى أيام الخليفة الآمر بأحكام الله سنة ٥١٨هـ / ١١٢٤م[٥] .

قيسارية ابن يحى : وكانت تجاه باب قيسارية جهاركس ، أنشأها القاضى هبة الله بن يحى التميمى سنة ٥٤٠هـ / ١١٤٦م[٦] . هذا إلى جانب قيسارية العصفر[٧] ، وقيسارية الشرب[٨] .

---

(١) ابن دقماق : الانتصار حـ٤ ص ٣٧ ، ص٣٨

(٢) نفسه : حـ٤ ص ٣٨

(٣) المقريزى : خطط حـ٢ ص٩١ وكان لها خمسة أبواب .

(٤) ابن دقماق : الانتصار حـ٤ ص ٣٩

(٥) المقريزى : خطط حـ٢ ص ٨٥ ص٨٦

(٦) المقريزى : خطط حـ٢ ص ٩٠

(٧) نفس المصدر : حـ٢ ص ٨٩ عرفت بذلك من أجل أن العصفر كان يدق بها .

(٨) نفس المصدر : حـ٢ ص٨٦

الفندق[١] :

وهو بناء ضخم مربع على شكل الحصن يتألف من عدة طوابق ، وفى الدور الأرضى توجد المخازن والحوانيت التى تطل على فناء داخلى فسيح يسمح بتعبئة البضائع وتفريغها ، بينما تضم أدواره العليا مساكن التجار ، الذين كانوا ينامون فيها ويغلقون غرفهم بأقفال رومية[٢] .

تميزت الأسكندرية بوجود فنادق للتجار الأجانب الذين يقيمون فى مصر وكان لكل طائفة منهم فندق واحد[٣] . فيما عدا طائفة البنادقة التى كان لها فندقان[٤].

ويشير شارل ديل إلى أن مدينة البندقية استطاعت أن تحصل على كثير من المكاسب من وراء مساعدتها للصليبين ، وبعد مساعدتها لجود فرى بوايون (ملك بيت المقدس) فى حصاره ليافا سنة ١١٠٠م / ٤٩٤هـ حصلت على وعد بأن يكون للبنادقة كنيسة وموضع يقيمون فيه سوقاً فى جميع المدن التى يفتحها الصليبيون على الشاطئ أوفى الداخل ، وكان تجارها يمنحون فى كل مدينة شارعاً وميداناً وكنيسة وحماماً ومخبزاً[٥] .

---

(١) الفندق : كلمة من أصل يونانى Pandoheion وتقابلها فى الإيطالية Fondace وكان الفندق فى بيزنطة يعرف باسم Mitata . آدم متز : حـ٢ ص٣٢٧ ، جمال الدين الشيال : تاريخ مصر الإسلامى من الفتح العربى إلى نهاية العصر الفاطمى حـ١ ص١٠٥

(٢) آدم متز : حـ٢ ص٣٢٧ Heyd: Hist, du Commerce Tom, 11. pp 430 - 31

(٣) كلودكاهن : تجار القاهرة الأجانب فى عهد الفاطميين والأيوبيين حـ٨٧٢ من ابحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة القاهرة ١٩٧١م .

(٤) شارل ديل : البندقية ص٥٩

(٥) شارل ديل : البندقية ص٣١

وفضلاً عن ذلك فقد كان تجار أمالفي يملكون المنشآت التجارية في الشام([١])، كما كانوا يملكون في مصر وأغلب الظن في الأسكندرية فنادق خاصة بهم([٢]) ، وإن كان " هيد " ينفي ذلك ويذكر أنها أبنية مصرية وضعت تحت تصرفهم تسهيلاً لاقامة تجارهم في البلاد وقيامهم بالصفقات التجارية([٣]) .

ويحتوى الفندق عادة على كنيسة صغيرة، يقيم فيها التجار شعائرهم الدينية، كما كان به فرن لصناعة خبزهم ، وقاعة خاصة يصرح لهم فيها بشرب النبيذ . وكانوا عادة يختارون أحد أفراد الجالية للإشراف على تنظيم الإقامة في الفندق ويمثلهم أمام السلطات الحاكمة ويطلق على هذا الشخص اسم الفندقي([٤]) .

لم يقتصر وجود الفنادق على الموانى فحسب ، بل انتشرت داخل البلاد ومن الفنادق التي ذكرها المقريزي([٥]) : فندق بلال المغيثي حيث تباع صنادق الذهب والفضة . وفندق الصالح ، وفندق ابن قريش وفندق دار التفاح ، حيث ترد إليه الفواكه التي تنبت في بساتين ضواحي القاهرة وتنقل منه إلى سائر أسواق

---

(1) Heyd : Hist ; du Commerce , Tom . I.P.147

(٢) ذكر بيزلي أن المصانع التي كانت للأمالفيين في صقلية تشبه فنادقهم في دلتا النيل ، وأن كان هيد ينفي ملكية الفنادق لتجار الأجانب في مصر .

Beazley (C.R) the daun of Modern Geagraphy VO.II P.400, Heyd : op cit Tom , p430 .

(3) Heyd : Ibid :

(٤) جمال سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية ص ١٦٠

(٥) المقريزي : خطط حـ٢ ص ٩٢ ، ص٩٤

وذكر ابن دقماق أنه كان بالقسطاط ستة عشر فندقاً لبيع أصناف الفواكه والتجارة والمصنوعات . الانتصار حـ٤ - ص٤٠ ، ص٤١

القاهرة. ويروى ابن جبير[١] أنه نزل فى فندق أبى الثناء فى زقاق القناديل بالقرب من جامع عمرو بن العاص . وكان بالفسطاط حى يقيم به تجار الروم[٢] .

وكان بقوص فندق ينسب لابن العجمى ، كذلك كان بعيذاب فندق ، وقد نزل فيهما ابن جبير وهو فى طريقه للحج[٣] ، كما كانت هناك فنادق بمحلة صرد[٤] والبجوم[٥] والكريون[٦] .

وكان التاجر يدفع نظير الإقامة فى الفندق درهمان فى الليلة الواحدة[٧] ، فلم تكن الفنادق مستغلة للتجار ، بل هى فى خدمتهم ، والدليل على ذلك أن دخل الفندق الكبير فى العاصمة القاهرة ، أيام الفاطميين ، لم يصل إلى أكثر من مائة دينار فى الشهر[٨] .

---

(١) رحلته : ص٣٧ ، ٤٢ .

(2) Heyd : op cit , tom 1, p . 56

كذلك خصصت الحكومة الفاطمية حيا خاصاً للأوربيين على مقربة من باب النصر يقيم فيه تجارهم عندما يفدون إلى مصر . أحمد دراج : الوثائق العربية المحفوظة فى دور الأرشيف الأوربية ص١٢١ من أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة الجزء الأول مارس – إبريل القاهرة ١٩٦٩م .

(٣) ابن جير : رحلته ص ٣٧ ، ص٤٢

(٤) محلة صرد : من أعمال الغربية

(٥) البجوم : من البلاد المندرسة وكانت بالقرب من ادكو .

(٦) ابن حوقل : المسالك والممالك ص٨٩ ، ص٩٠ ، ص٩١

والكريون : مركز كفر الدوار .

(7) Ashtor : Hist , des prix . p. 224 .

(8) Op cit : p.88 .

الخـــان :

والخان عبارة عن مبنـى ضخـم يحتـوى علـى مجموعـة مـن الحوانيـت الكبـيرة والصغيرة ، ويتوسط الخان فناء كبير على هيئة رواق مغطى ، حيث يحفـظ التجـار بضائعهم وفيه يجد التجار المأوى لهم ولدوابهم خلال رحلتهم[١] .

وقد كثرت الخانات بمصر فى العصر الفـاطمى[٢] ، وكـانت عبـارة عـن دور كبـيرة المسـاحة بهـا حجـرات كثيرة ، وتسـع الـدار الواحـدة ثلاثمائـة وخمســين شخصاً[٣] . ومن أهم الخانات التـى ترجـع إلى العصـر الفـاطمى ، خـان مسـرور حيث كانت تباع مهمات الأساطيل ، وخان السبيل لايواء أبناء السبيل والمسافرين بغير أجر ، وخان الخليلى[٤] .

الوكالات :

كان بالفسطاط عدد كبير من " وكلاء التجار " أو " دور الوكالة " وهى دار الوكيل التى يمكن استخدامها كمستودع أو مصرف أو عنوان بريدى أو كل هـذه الوظائف مجتمعه لأهمية الوكيل[٥] ، وقد نشأ هذا النشاط منذ الأيام الأولى للدولة الفاطمية فى مصر أو قبل ذلك بقليل فيذكر المسبحى فى حوادث سـنة ٤١٥هـ /

---

(١) ابن بطوطة : رحلته جـ١ ص ٣٧ (١٣٢٢هـ) .

(٢) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ص٦٢٠

(٣) ناصرخسرو : سفر نامة ص٥٨ ، ص٦٣ وقد بلغ إيجار احداهما فى الفسطاط اثنـى عشـر ألف دينار فى العام .

(٤) المقريزى : خطط جـ٢ ص٩٢ ، ٩٣ ، ص٩٤

(5) Goitein : Amediterranean society .IV, p. 26 .

١٠٢٤م وفاة الشريف أبى اسماعيل إبراهيم بن تج المعدل الذى عمل بـ " الوكالة للتجار " فحملت إليه البضائع والمتاجر من كل ناحية وأنه خلف عند وفاته مالا كثيراً جما([١]) .

وكان لكبار التجار فى المدن الكبرى الداخلية وكلاء عنهم فى الثغور فيذكر ناصر خسرو أنه لما اعتزم مغادرة أسوان إلى عيذاب ليتوجه منها إلى الحجاز كتب له تاجر من أسوان يدعى أبو عبد الله محمد فليج كتاباً إلى وكيله بعيذاب يوصيه به أن يدفع له ما يريد وأن ناصر خسرو سيعطيه مقابل ذلك صكًا بالحساب يتولى الوكيل ارساله إلى التاجر فى أسوان([٢]) .

وتشبه الوكالة الفندق فى نظامها ، بل كان يطلق عليها أحياناً اسم الفندق ، وكان الاختلاف الوحيد بينها وبين الفندق ، أن الوكالة كانت مقصورة على نزول التجار القادمين من بلاد الشرق الإسلامى([٣]) .

وكان يعلو الوكالات رباع تشتمل على بيوت كبيرة([٤]) ، اتخذها تجار الشرق سكناً لهم ومكاناً لحفظ أموالهم وودائعهم ، وتتم فى هذه الوكالات عمليات البيع والشراء بالجملة والتجزئة ، وتوزيع ما يرد إليها على الأسواق ، كما كانت تتم فيها الأعمال المصرفية([٥]) .

---

(١) المسبحى : أخبار مصر ص١٠٨ الجزء الأربعون حققه أيمن فؤاد سيد وتيارى بيانكى القاهرة المعهد الفرنسى للآثار ١٩٧٨م .

(٢) ناصر خسرو : سفر نامة ص ١١٩ ، ١٢٠

(٣) جمال سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق ص١٦٠

(٤) المقريزى : خطط حـ٢ ص ٩٢

(5) Goitein : Amediterramean Society . p.346 .

لم يكن انشاء الوكالات مقصورا على الحكومة ، بل إن تجار المسلمين كانوا أحياناً يقيمون وكالات خاصة بهم ، وكانت الوكالات بمثابة مخازن لبضائعهم ومنازل ينزلون فيها عندما يقيمون بمصر ، وكذلك فعل تجار مصر فى بلاد الشام والعراق والحجاز(١) .

ومن هذه الوكالات التى ترجع إلى العصر الفاطمى . وكالة الحرانى التى انشئت فى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى)(٢) والوكالة الآمرية ، التى أنشأها المأمون البطائحى وزير الخليفة الآمر بأحكام الله سنة ٥١٦هـ / ١١٢٢م فى القاهرة للتجار الوافدين من العراق والشام(٣) ، وكذلك وكالة ابن ميسر التى أنشأها سنة ٥٣١هـ / ١١٣٧م(٤) .

وكان صاحب الوكالة أو المشرف عليها يسمى وكيل التجار أو شيخ التجار(٥) ، وكان يسكن بالقرب من الوكالة ، ولهذا الوكيل أهمية كبرى لتجار الشرق ، وخاصة فى فترة غيابهم عن البلاد فهو يسهل استلام بضائعهم ، واجراءات نقلها وتخزينها لحين عودة هؤلاء التجار إلى البلاد ، كما كان التجار يودعون لديه ما يخشون عليه من أموالهم وودائعهم ، وكان لديه قوائم بأسماء كبار

---

(١) ابن ميسر : أخبار مصر ص ٦٢ .

(2) Goitein : op cit . p.192 .

(٣) ابن ميسر : أخبار مصر ص٦٢ ، ٨٠ .

(٤) المصدر السابق .

(5) Goitein : op cit . p. 343 .

تشير وثائق الجنيزة إلى أبى ذكرى كوهين شيخ التجار اليهود بالقاهرة عاش فى الربع الأول من القرن السادس الهجرى .

Goitein : New light on the beginning of the Karmi merchants . P.179 " J.R. A. S. I, II, 1958 " .

التجار ، وقوائم بأسعار التوابل والسلع المختلفة فى الأسواق([1]) . وكانت له نسبة يتقاضاها من البضاعة التى تخزن فى وكالته([2]) .

وفى الدولة البيزنطية كانت الحكومة تهئ المسكن والطعام والحمامات للتجار([3]) طوال فترة زيارتهم للقسطنطينية دون مقابل ، كما كانت تجهز التجار أيضاً عند رجوعهم بالمؤن اللازمة لهم أثناء رحلتهم ، كما كانت تعطيهم أدوات لسفنهم كالمراسى والحبال الضخمة والصغيرة والأشرعة ، مما كانوا من احتياج إليه لاصلاح سفنهم([4]).

وكان على التجار الأجانب حال وصولهم إلى العاصمة (القسطنطينية) أن يخطروا السلطات الحكومية ، ولم يكن فى استطاعتهم أن يمكثوا فى العاصمة أكثر من ثلاثة شهور إلا بموجب اتفاق خاص ، وإذا انتهت المدة دون أن يبيعوا بضائعهم قامت الدولة بوضع الترتيبات لبيعها([5]) .

وحصل التجار البنادقة بمقتضى معاهدة ١٠٨٢ م / ٤٧٥هـ التى وقعها الكسيوس كومنين على مطلق الحرية فى التنقل فى أنحاء الدولة البيزنطية ، ومنحهم كذلك مكاناً لإقامتهم على القرن الذهبى([6]) .

---

(1) Goitein : Ameditirranean Socity.p .188

(2) Goitein : op . cit . p. 191

كما كانت يتقاضى عمولة عن الصفقات التى يعقدها أثناء غياب هؤلاء التجار وتصل إلى ٢٪.

(٣) نورمان بينز : نفس المرجع ص ٢٨٥ ويخص بالذكر هنا التجار الروس .

(٤) نفس المرجع ص٢٨٥ – ص٢٨٦ ويحيل بينز القارئ إلى الجزء الأول من " تاريخ روسيا " لكلو شفسكى Klucheusky : History of Russia حيث يجد وصفا رائعاً لهذه التجارة مع الإمبراطورية البيزنطية .

(٥) نفس المرجع ص٢٨٧ ، ص٢٨٨ .

(٦) نفسه ص ٢٨٩ .

الفصل الرابع

المعاملات المالية والتجارية

- المكوس والضرائب
- دور الضرب والعملة

الفصل الرابع

المعاملات المالية والتجارية

المكوس والضرائب :

كانت المكوس(١) وهى الرسوم المفروضة على التجارة الداخلية والخارجية وعلى الصناعة(٢) من وضع أمد بن المدبر الى ولى خراج مصر بعد سنة ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م . وقد سبق الفاطميين فى فرض هذه المكوس ، فقرر على الكلأ الذى ترعاه البهائم ما لا سماه المراعى كما قرر مالا على ما يستخرج من البحر سماه المصائد ، وعرفت هذه هذه الأموال بالمرافق والمعادن(٣) ، فلما ولى أحمد بن طولون أبطل هذه المظالم ، ثم أحياها الفاطميون وأصبحت تعرف بالمكوس(٤) .

---

(١) المكوس : مفردها مكس وهى الضرائب التى فرضها الولاة فى العصور المختلفة خارجا عن العشر وجزية أهل الذمة . وأصل كلمة مكس آرامى استعملها اليهود بمعنى واجبات - دفع - ضرائب . وعرف المقريزى كلمة مكس بأنه دراهم تؤخذ من بائع السلع فى الأسواق فى الجاهلية ، وأن أصل المكس فى اللغة الجباية أما كلمة المقس فإنه اسم قرية على ساحل النيل شمال القاهرة ، وكانت تعرف بام دنين وسميت المقس لأن الماكس كان يقعد بها ليستخرج المكس .

Cahen (Claude): les portes Mediterranean de l'Egypte p. 217 (Arabica 7 . 1967)

، المقريزى : خطط جـ٢ ص١٢١ .

، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ٤ ص٥٣ .

(٢) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ص٥٥٠ .

(٣) المقريزى : خطط جـ٢ ص١٠٣ ، الكندى : فضائل مصر ص٥٣ .

(٤) المقريزى : خطط جـ١ ص١٧٣ .

وقد وجد الفاطميون فى مصر نظاماً مالياً دقيقاً منذ الفتح العربى ، زاده الطولونيون والإخشيديون اتقاناً ، حتى أن كلا من جوهر والمعز لم يدخلا عليه شيئا من التحسن([1]) .

ويذكر عبد الحى شعبان فى تفسيره للتاريخ الإسلامى أن نظام الفاطميين الضرائبى ، الذى كان حجر الأساس فى نجاحهم وفشلهم معالم يناقش أبداً([2]) .

ولعل سبب ذلك راجع إلى قلة المصادر التى يمكن الاعتماد عليها فى دراسة هذا النوع ، وإن كان الدكتور راشد البراوى فى كتابه " حالة مصر الإقتصادية فى عهد الفاطميين " قد أشار إلى نظام الجباية عند الفاطميين([3]) ، كما أن الدكتور حسنين ربيع أشار أيضاً إلى النظام الضرائبى للفاطميين كمدخل لدراسة النظام المالى فى مصر بين سنتى ٥٦٤ - ٧٤١هـ / ١١٦٩ - ١٣٤١م([4]) .

والواقع أنه بعد أن وصل إلينا كتاب " المنهاج فى أحكام خراج مصر " للمخرومى وما نعرفه من كتاب " قوانين الدواوين " لابن مماتى ، يمكننا أن نقدم عرضاً للنظام الضرائبى للفاطميين ، وذلك بمقارنة معطياتهما مع الجزء الثامن من " نهاية الأرب " للنويرى والمؤلفات المتأخرة مثل " صبح الأعشى " للقلقشندى الذى اعتمد مطولا على ابن مماتى أو خطط المقريزى الذى يتابع كذلك ابن مماتى ، ولكن مع الأخذ من مؤلفين آخرين من بينهم المخزومى وكذلك كتاب " روضة

---

(١) حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف : المعز لدين الله ص ١٦٩ .

(2) Shaban : A.Ab , islamic History AD . 750-1055 (AH 132-448) A new interpretation . p. 186 (cambridg 1967) .

(٣) البراوى : حالة مصر الاقتصادية ص ٣٢١ - ٣٥٣ .

(4) Rabie : H. " the financial system of Egypt . AH . 564-641 AD 1164-1341) (London 1972) .

الأديب " لمحمد بن إبراهيم بن ظهير الحنفى الحموى وهذان المؤلفان الوحيدان اللذان عرفا كتاب المخزومى ويتيحان لنا من بعض النواحى استكمال نقص مخطوط المنهاج[١] .

وترجع قيمة كتاب " المنهاج " للمخزومى أن مؤلفه تولى أكثر من مرة زمن الفاطمين والأيوبين ديوان المجلس[٢] (وهو ديوان لم يختف فوراً فى زمن صلاح الدين ولكنه اختفى دون شك فى زمن الأيوبين)[٣]واكتسب المخزومى تبعاً لذلك خبرة عملية بالعمليات المتعلقة بالمكوس وعلى الأخص فى ثغر الأسكندرية ، وكذلك جباية الجزية التى كان يدفعها الذميون[٤] .

وتبعاً للبروفيسور كاهن فقد كان هناك تأليفان لكتاب " المنهاج " تأليف أول فى آخر عصر الفاطميين نحو سنة ٥٦٥هـ / ١١٦٩م والنظام الفاطمى مازال سائداً ، ثم أضاف إليه إضافات ومراجعات فى سنة ٥٨١ هـ / ١١٨٥م أو بعد ذلك بقليل بعد أن مضى وقت طويل على النظام الأيوبى ودخلت عليه العديد من التحسينات[٥].

---

(1) Cahen (claude) : Makhzumiyat Etudes sur l'Histoire ecmomic. p.7.

، ايمن فؤاد سيد ك تاريخ الدولة الفاطمية فى مصر ط تفسير حديد ط ص٣١٩ .

(٢) المخزومى : (القاضى السعيد ثقة الثقات ذو الرياستين أبو الحسين على بن أبى عمرو عثمان ابن يوسف) المتوفى ٥٨٥هـ / ١١٨٩م .

: المنهاج فى أحكام خرج مصر حـ ٤٦ مخطوط المتحف البريطانى رقم Add 23 , 483 ونشره كلودكاهن – القاهرة المعهد الفرنسى للآثار سنة ١٩٨٦م (منتخبات) .

(٣) النابلسى : لمع القوانين المضية ص٣٦ نشره كلود كاهن BEOXVI

(4) Cahen : op cit . p.4 .

(٥) المخزومى : المنهاج فى ٣٨

المقريزى : خطط حـ١ ص ٢٧٦ – ص٢٧٧

Cahen op cit . p . 4

ولا شك أن كتاب " المنهاج " يعد مصدراً لا نظير له عن النواحى الإدارية ونظام الزراعة والنظام المالى فى مصر فى القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى ويتيح لنا أن نحدد وأن نكمل أو نراجع من بعض النواحى معارفنا عن نظام الضرائب فى مصر قبل العصر الأيوبى[١] .

ما يستأدى من تجار الروم أو الخمس الرومى :

كانت ضريبة المكس تعتبر أهم الضرائب التى تميز ذلك العصر . وهى تدل فى معناها الضيق على الضريبة التى تؤخذ على السلع الواردة أو الصادرة الموجودة فى الموانى ، أما فى معناها الواسع فتدل على ضريبة غير مباشرة تفرض على بعض السلع عند ورودها إلى المدن[٢] .

وكانت المكوس تفرض فى الثغور وعند مداخل البلاد ومخارجها منذ القدم وتفرض ضرائب على الملاحة فى الأنهار على السفن ، ولا يصرح بعبورها إلا بعد أداء الضرائب[٣] .

وكان على الروم وهو لفظ يقصد به التجار البيزنطيين والايطاليين وخاصة الجنويين والبنادقة ، أن يدفعوا بوصفهم تجار أجانب غير مسلمين رسوماً جمركية

---

(١) أيمن فؤاد سيد : الدولة الفاطمية ص ٣٢٠ .

(٢) عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم فى مصر حـ١ ص١١٧ ١٩٥٣م ولنفس المؤلف : تاريخ الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى ص٤١ .

(٣) انطون زكرى : النيل فى عهد الفراعنة والعرب ص ٩٤ - ص٩٥ القاهرة ١٩٢٦م وكانت مدينة ببلاق مرسى لاساطيل النيل عند حدود مصر الجنوبية ، حيث يتبين من بعض النقوش أن المراكب كانت تدفع قبل مرورها مقداراً من الفضة أو المواشى أو الأشياء المصنوعة أو حبوباً أو مايفى بمؤنه عمال القنطرة مدة تسعة وعشرين يوماً .

على البضائع الواردة إلى الموانى المصرية المطلة على البحر المتوسط ، عرفها المخزومى باسم الخمس أو " الخمس الرومى "(١) ويشرح لنا ابن مماتى كلمة الخمس بأنها عبارة عما يستأدى من تجار الروم الواردين على الثغور بمقتضى ما صولحوا عليه ، ورغم أن قيمة الرسوم الواجب عليهم أدائها يبلغ قيمته ٣٥ بالمائة من قيمة بضائعهم وقد ينحط إلى ما دون العشرين بالمائة فإنها مع ذلك تسمى " خمساً "(٢) ويوضح هذا النص الذى أورده ابن مماتى أن الحكومة الفاطمية لم تكن تعامل التجار غير المسلمين على أساس واحد ، الأمر الذى يمكن ارجاعه إلى اعتبارات سياسية واقتصادية . فقد تخفض الرسوم على تجار البلاد التى تزود الحكومة الفاطمية بما يلزمها من المواد الضرورية لصناعة السفن على سبيل المثال(٣).

وامام ارتفاع قيمة هذه الرسوم حرص التجار علىتخفيض المبالغ التى يدفعونها عما ينقلونه من متاجر ، يدل على ذلك ما وعد به روجر الثانى Roger II أهالى مدينة سالرنو Salermo سنة ٥٣٢هـ / ١١٣٧م بالتدخل لدى الحكومة الفاطمية

---

(١) المخزومى : المنهاج حـ٥ ، ص٤٩ Cahen : op. cit . pp. 63, 75 وكانت العادة أن يجبىمن التجار غير المسلمين الذين يفدون إلى دار الإسلام " العشر من قيمة بضائعهم ، وقد أباح الإمام الشافعى للحاكم أن يزيد هذه النسبة إلى الخمس أو ينقصها إلى نصف العشر أو يزيلها نهائياً . القلقشندى : صبح الأعشى حـ٣ ص٤٥٩

(٢) ابن مماتى : قوانين الدواوين ص٣٢٦ ، المقريزى : خطط حـ١ ص١٠٩

(3) Stern . s.m ; " An original Documment from the Fatimid chancery concerning italien Merchants " study orintalistic in onore di Giorio levi della vida Roma 1956 p.529 - 38 .

أيمن فؤاد : نفسه ص٣٤٤ - ٣٤٥

لتخفيض الرسوم الجمركية (الخمس الرومى) التى يدفعها تجار هذه المدينة فى ميناء الأسكندرية إلى القيمة التى يدفعها أهالى صقلية[١] .

ويتولى الإشراف على جباية " الخمس " فى الأسكندرية ودمياط وتنيس جهاز مكون من ناظر ومشارف وشاهد الخمس وعدد من الكتاب يتولون إعداد عدد من التعليقات والجرائد لحفظ الارتفاعات وضبط الأموال وصيانتها[٢] .

وتتضمن " التعريفات " بيانات عن ورود المراكب الرومية مبينا لكل مركب من أى البلاد قدمت ونوع البضائع التى تحملها موضحاً وزنها وعددها ثم تعد " تعريفات " بما يفرغ كل يوم من جميع المراكب من البضائع فى المخازن بالصناعة ، كما يعد " تعريف " مفصل بأسماء التجار ومراكبهم[٣] .

وإذا كان عرض المخزومى عما يؤدى إلى الخمس بثغر الأسكندرية ناقصاً أو غير واضح فإن ما يعرضه عن ثغر تنيس - رغم قلة المترددين عليها بالقياس إلى الأسكندرية - ملئ بالتفصيلات حيث يقدم لنا كشف بنسبة الخمس الواجب أداؤها عما قيمته مائة دينار من أنواع متعددة من البضائع[٤] ، ويفيدنا عرضه كذلك بأنه كان يعقد بها بيع بالمزاد العلنى للبضائع الواردة يعرف " بحلق الخمس"

---

(1) Canard , M ; " une lettre du calife Fatimite al - Hafiz (524-544 / 1130-1144) a Roger II "
dans Aiti del convegno internazional di studi Ruggeriano. p.p.125-126 (palerme 1955) .

البراوى : حالة مصر الاقتصادية ص٢٥٠ ، ص٢٦٨

(٢) المخزومى : المنهاج حـ٥٤ - ص٤٦

(٣) المخزومى : ص ٤٦

(٤) المخزومى : المنهاج ص٢٢ - ٢٩

(جمع حلقة) تفرض عليه الدولة مكوسًا لا تجب إلا بعد تمام عملية البيع ، وينال السماسرة والمنادين والمستخدمين نسبة منها([1]) وكذلك كان من الرسوم المفروضة " رسم التوفير " وهو عما يستخرج على يد جهبذ الديوان من التجار المشترين وتجار الروم عن كل مائة دينار سدس وثمن دينار([2]) .

ويمكننا أن نصنف الرسوم المعقدة التى كان على التجار الروم دفعها فى الأسكندرية وبقية الثغور إلى مجموعتين أساسيتين هما " القوف " و " العرصة " ومعنى هذين المصطلحين وغير واضح على الاطلاق([3]) ويظن البروفيسور كاهن أن كل الرسوم التى كانت تدفع فى الأسكندرية تتجمع حول هاتين المجموعتين الرئيستين ويبلغ مجموعهما ١٩ بالمائة([4]) .

ونستطيع أن نتبين من العمليات المتنوعة ، الرسوم التى يطلق عليها " القوف" مع بعض الصعوبات ثلاثة تقسيمات : مراكب تدفع رسومًا بالكامل وهى المراكب التى يكون ارتفاعها ألف دينار فما فوق ، وتدفع ما قدره مائة واحد وخمسين دينار وربع ، ومراكب تدفع رسومًا بحق الثلثين عن ستمائة ست وستين دينار وثلثين قدرها مائة دينار ما قدره خمسة وسبعين دينارًا أو نصف وثمن من جميعه([5]) . وهذا التقسيم كما يذهب الدكتور ربيع يبدو غامضًا إلى حد ما([6]) .

---

(١) المخزومى : المنهاج ص٢٢ – ص٢٩

(٢) نفسه : ص٩

(٣) نفسه : ص١٠ ،ص١٢ ، ص١٣

Rabie .H ; op cit . p.90 .

(4) Cahen : op cit . p.p.88 - 89 .

(٥) المخزومى : المنهاج ص١٠

(6) Rabie : H. op cit .p.41 .

ويمثل العائد " القوف " من قيمة الخمس نسبة قدرها $\frac{١}{٨}$ بالمائة تشمل رسوم المستخدمين وهم : الجباة والخزان والأمناء وبوابين البحر ، ورسوم لعديد من الأبواب مثل "الختمة " ورسم " الطعمة " ورسم " الضيافة "(١) أما ما يطلق عليه الروم " العرصة " فهو كما يذكر المخزومى ما يؤخذ عن محاسبة المراكب الخمسية متعلقًا برسم الاشراف والعمل ورسم صاحب البحر ورسوم الولاية ورسوم الترجمة وكابت الخمس والجهبند والمحاسبة(٢) .وهذا فيما يخص التجار الأجانب غير المسلمين(٣) .

أما التجار المسلمون فقد اعتبر الفقهاء المكوسى أو الضرائب الجمركية بالنسبة لهم داخلة ضمن الزكاة ، ومن هنا نشأت فكرة أن التاجر المسلم يستطيع أن يطوف عامًا كاملاً فيما شاء من حدود البلاد معفيًا من المكوسى متى دفع المكسى مرة واحدة وهو " العشر " وذلك بالاضافة إلى الزكاة الشرعية على عين المال ، وهى عن كل مائة دينار ديناران ونصف وقد أطلق عليها المخزومى " عروض (عيون) التجارات " وكانت تجبى بعد أن يحدد المشارف " حول " كل تاجر على ما يقتضيه ابتداء ملكه المال وضرب المخزومى مثلاً عمليًا على ما يجيب عن مائتى أردب من الغلة قيمتها أربعون دينارًا وهو دينار واحد ، وكذالك ما يجب عن مائة قنطار من القطن قيمتها خمسون دينارًا وهو دينار وربع(٤) ، وقد

---

(١) المخزومى : نفسه ص١١ ، ص١٢

(٢) نفسه ص١٣

Rabie : op cit .p.91 .

(٣) ايمن فواد سيد : الدولة الفاطمية ص٣٤٨

(٤) المخومى : المنهاج ص٤٢ ،ص٤٦

Cahen (cl) op cit . p.p. 75 - 91 .
Rabie . H. op cit . p.p. 96 - 97 .

أبدى الرحالة ابن جبير تذمره من الإجراءات الجمركية بالأسكندرية ، وذكر أن الموكلين بهذا الأمر طالبوهم بأداء زكاة ما معهم دون أن يبحثوا إذا كان قد حال عليه الحول أو لم يحل ، رغم أن ما يحملونه لم يزد عن كونه زاد لطريقهم ولم يكن لغرض الاتجار(١) .

أما الرسوم المفروضة على ما يرد ويصدر مع التجار الذميين فتعرف "بواجب الذمة" وكانت فى وقت ابن مماتى تستأدى فى أماكن ثلاثة هى: مصر والفسطاط(٢) ، والأسكندرية واخميم(٣) التى يجب أن نضيف إليها عيذاب التى ذكرها ابن مماتى فى موضع آخر(٤) ، وإن كان لم يحدد لنا قيمة هذه الرسوم .

وكان المكس على البضائع التى يجلبها التجار الكارمية فى البحر الأحمر من جهه الحجاز يجبى فى موانى عيذاب والقصير والطور والقلزم(٥) . وعند وصول إحدى سفن الهند إلى أحد موانى البحر الأحمر ، كان على تاجر الشرق أن يتوجه إلى مقر المكس الذى يشرف عليه مقرر المكس وعدد من الموظفين يسجلون ما معه من البضائع ، وبعد ذلك يقدرون المكس المقرر عليها حيث يدفعها التاجر(٦) ، ثم

---

(١) ابن جبير : الرحلة ص١٣ بيروت دار صادر ١٩٦٧م .

(٢) وتظهر " دار مانك " فى الفسطاط فى وثائق الجنيزة كمكان لدفع المكوس على عدد كبير من السلع المصدرة وعلى تجارة العبور ، وعلى الأخص أصناف تجارة الجملة كالكتان والتوابل

Goitein. S. D. A mediteranean Socity IV.P.27. (New york 1967)

(٣) ابن مماتى : قوانين الدواوين ص٣٤٩

(٤) ابن مماتى : نفسه ص٣٢٧ ، وانظر كذلك ناصر خسرو : سفرنامه ص١١٨

(٥) القلقشندى : صبح الأعشى جـ٣ ص٤٦٨ ، ص٤٦٩

(6) Goitein : From the mediterranean to india .p.189 (Speculm XXIX 1959)

تنقل السلع من الديوان إلى وكالات القاهرة والفسطاط حيث يجرى بيعها أمام سماسرة معينين من قبل الحكومة ، وذلك بعد أن تستوفى الحكومة حاجتها من السلع التى تريدها وخاصة الحديد والخشب والقطران وغير ذلك من السلع التى يحتاجها المتجر العام فى القاهرة(١) .

كثرت المكوس وتعددت فى العصر الفاطمى حتى بلغت على قول المقريزى ثمانين نوعًا ، والتى ألغاها صلاح الدين الأيوبى سنة ٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م وقد بلغ عائد هذه المكوسى مائة ألف دينار سنويًا(٢) . وأضاف ابن أبى طى - راوى الخبر - أن الذى أسقطه صلاح الدين من المكوس والذى سامح به لعدة سنين آخرها سنة ٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م مبلغه ألف ألف دينار وألف ألف أردب وكان أشهر هذه المكوس مكس البهار(٣) . ويفهم مما ذكره المقريزى أنه لم يسلم أى انتاج أو أية مهنة أو آية حرفة من دفع المكوس . وقد أبدى الرحالة المقدسى الذى زار مصر سنة ٣٧٥ هـ / ٩٨٥ م استغرابه من ثقل المكوس خاصة فى تنيس ودمياط وعلى ساحل النيل بالفسطاط، وذكر أن الثياب الشطوية (التى تصنع بمدينة شطا)

وكان تجار اليهود الذين يعملون فى تجارة الشرق يدفعون إلى جانب المكوس المفروضة على بضائعهم حزية تسمى " حعلية " ولم يكن يعفى منها أحد حتى الذى يتغيب فى الخارج أو يموت فكان أهله يدفعون عنه تلك " الجعلية "

Goitein : Evidence on the muslin polltex from non muslinn sources . p. 283 (J.E.S.H.O.V.VI part I 1963) .

(١) الباز العرينى : مصرف فى عهد الأيوبيين ص٢٠٧ ، ٢٠٨ القاهرة ١٩٦٠م .

(٢) المقريزى : خطط جـ١ ص١٠٤ - ص١٠٥ ، القلقشندى : جـ٣ ص٤٦٦ - ص٤٦٧ وانظر سجل إسقاط المكوس وهو مؤرخ فى ٣ صفر ٥٦٧هـ ١١٧١م عند أبى شامة .. الروضتين جـ١ ص٥٢٢ - ٥٢٣ الجزء الأول فى قسمين تحقيق / محمد حلمى محمد أحمد القاهرة ١٩٥٦ - ١٩٦٢م .

(٣) المقريزى : خطط جـ١ ص١٠٥

فرضت عليها مكوس عالية القيمة فى جميع مراحل تصنيعها ونقلها وبيعها[١] ، ويذكر ناصر خسرو الذى زار مصر نحو سنة ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م أن عائد بيت المال من تنيس بلغ يوميًا ألف دينار[٢] .

أما فى الامبراطورية البيزنطية فكان يكتنف حياة التجار والأعمال بالامبراطورية من كل جانب عدد لا يحصى من اللوائح والتنظيمات ، وكانت الدولة تبذل الحماية الجمركية وتفرض رسومًا على البضائع للحصول على دخل كبير يقدر بحوالى ١٠ ٪ على الصادر والوارد . وكانت هناك قائمة بالمواد التى تدفع عنها الضرائب منها البهار والقطن الخام والجلود الغالية ، والعاج والأحجار الكريمة ، والأصبغة والأصواف الشرقية ، وكذلك تحصل المكوس على العبيد والغلمان والخصيان[٣]. وقد حاولت الامبراطورة ايرينى ارضاء التجار فقامت بتخفيض الرسوم الجمركية على ضفاف البسفور والدردنيل[٤] .

وقامت الدولة كذلك بمنح امتيازات للتجار الأجانب وكانت للدولة احتكارات مثل تجارة الحرير وصناعة الأسلحة ، وهناك كذلك قوانين تحدد نوعية البضائع التى يحتاجونها داخليًا والسمك المملح[٥] وكانت الحكومة تكشف على كل البضائع كشفًا دقيقًا فإذا أبيح بعدئذ تصدير بضاعة ما، طبعت بخاتم الدولة[٦].

---

(١) المقدسى : احسن التقاسيم ص٢١٣ ، ناصر خسرو : سفرنامه ص٧٧

(٢) ناصر خسرو : ص٧٩ دار الكتاب الجديد - بيروت ١٩٧٠م .

(3) Baynes , N, “ the Byzantine Empire . p. 120 (London 1926)

(4) Finlay , G ; History of the Byzantine Empire .p. 194

(5) David : the Byzantines .p. 121.

(٦) نورمان بيتز : الامبراطورية البيزنطية ص١٨٨

وقد حددت الامبراطورية وسطاء معينين خاضعين لرقابتها للقيام وحدهم بتوزيع التجارة الشرقية فى بلاد الغرب الخاضعة للفرنجة ، و لم تسمح بيزنطة للتجار الكارولنجين الاتجار مباشرة مع مصر وسوريا ، فعندما استولى الضعف على الدولة الكارولنجيين عادت بيزنطة إلى حظر التعامل فى السلع التجارية التى كانت تحتكرها المدن الإيطالية التى كانت تدين لها بالولاء(١) .

ويشير الدكتور حسنبسن ربيع إلى أحوال الامبراطورية البيزنطية منذ سنة ١٠٢٥ م / ٤١٦ هـ أى بموت الامبراطور باسيل الثانى دخلت الدولة البيزنطية فترة حرجة من تاريخها ، كانت بداية النهاية لتاريخ هذه الدولة ، والحقيقة أن القرن الحادى عشر الميلادى كان نقطة تحول كبرى فى تاريخ العصور الوسطى ، إذ بدأت فى هذا القرن تيارات جديدة تحل محل التيارات التى بدأت تتلاشى ، ففى هذا القرن أقام النورمان دولة لهم فى جنوب إيطاليا ، وشاهد القرن الحادى عشر تغيرات كثيرة فى الدولة البيزنطية أثرت فيها وأدت إلى انهيارها وعزل العالم البيزنطى عن ممالك أوربا الغربية وانتقل النشاط التجارى من البيزنطين إلى المدن التجارية الإيطالية(٢) .

غير أن التجارة البيزنطية اضمحلت فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر الميلاديين (الخامس والسادس الهجريين) لأن الدولة اضطرت أن تمنح البندقية

---

(1) Pirenn; : H; p.p.28 -29 .

عفاف صبرة : الامبراطوريتان ص٣٥٥

(٢) حسنين ربيع : دراسات تاريخ الدولة البيزنطية ص١٦٢ دار النهضة العربية ١٩٨٦م .

Bury .J . B; Roman Emperors from Basil II to Isaac Komnenus . English Historical Reviw . IV. p. 41 (1889) .

امتيازات شديدة الخطر فى مقابل الحصول على معاونتها وذلك بعد أن فشلت فى الاحتفاظ بأسطولها[١] .

وتمت الخطوة الحاسمة فى هذا السبيل حينما وقع الكسيوس الأول مع البندقية فى سنة ١٠٢٨ م / ٤٧٥ هـ معاهدة منح فيها تجار البندقية مطلق الحرية فى التنقل بين أنحاء الدولة دون دفع جمارك أو مكوس[٢] .

وربما حاول يوحنا كومنين اضعاف البندقية بإثارة المنافسة بينها وبين جنوة وذلك بسحب امتيازات البندقية ، ومنح جنوة امتيازات أقل ، ولكن ذلك لم يغن عنه شيئًا فلم يكن الأسطول البيزنطى فى مستوى الأسطول البندقى واضطرت الدولة أن تعيد إلى البندقية امتيازاتها السابقة[٣] .

وكان دهاء البنادقة هو الذى جعل الصليبين يهاجمون القسطنطينية فى الحملة الصليبية الرابعة وفقدت تجارة الامبراطورية بعد سقوط عاصمتها مكانتها إلى الأبد[٤] .

---

(١) نورمان بيتر : نفس المرجع ص٢٢٨ ، ص٢٨٩ وذلك فى مقابل مساعدة البندقية للدولة فى حروبها مع روبرت جويسكارد النورمندى .

(٢) نفسه .

(٣) بيتر : نفسه ص٢٨٩ . يشير جاك بيرين أن حياة بيزنطية قامت على تجارتها التى أمدت أجهزتها السياسية بنفقاتها الضخمة ، ولما أنهارت تجارة بيزنطة اقترن هذا بانهيارها السياسى .

Pirenne (Jacques) the Tides of History Vol ., II . p.125 .

(٤) نفسه .

العملة المتبادلة :

كانت العملة من وسائل المعاملات التجارية التى يحتاج إليها الناس فى تقدير مختلف أنواع السلع(١) . وكان التعامل فى مصر منذ أوائل القرن السابع الميلادى بالدنانير الذهب ، التى كانت سائدة فى الدولة البيزنطية وكانت تسمى بالقيصرية(٢)، وظلت تتعامل بالدنانير فى عهد تبعيتها للخلافة الأموية والعباسية(٣) ، فلما ولى أمورها أحمد بن طولون ضرب دنانير ذهبية عرفت بالأحمدية(٤) ، وقد انتشر التعامل بها ولقيت تقدير الناس لنقاوتها(٥) ، وحافظ الاخشيديون على النسبة العالية التى كانت للدنانير الأحمدية فى دولة بنى طولون(٦) .

---

(١) الدمشقى : الاشارة إلى محاسن التجارة ص٥

(٢) الدينار : وحدة العملة الذهبية الإسلامية القديمة . وهو مشتق من كلمة ديناريوس اللاتينية. ولم يغير الاصلاح الذى أدخله عبد الملك بن مروان من عيار العملة الذهبية التى عرفها العرب ووزنه الشرعى ٤,٢٥ جرام إلا إذا نص صراحة على أن وزنه غير ذلك .
زكى محمد حسن : كنوز الفاطمين ص٤٢ ، دائرة المعارف الإسلامية مادة : دينار .

(٣) جمال سور : تاريخ الحضارة الإسلامية ص١٦٢

(٤) المقريزى : النقود الإسلامية ص١٣ القسطنطينية ١٢٩٨هـ .
ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ص٩٨-ص٩٩ تحقيق/زكى محمد حسن القاهرة ١٩٥٣م.

(٥) كانت نسبة الذهب ٩٨٪ من وزنها .
Ashtor : Hist , des prix . p. 76 .

(٦) إذا أن النسبة القانونية بين وزن الذهب الصافى الموجود فى الدنانير الاخشيديه ووزنها الكلى هو ٢٣,٥ من العيار القيراطى (٢٤قيراط) أو ٩٧٩,٢ من العيار الألفى وهو أعلى عيار وصلت إليه السكة الإسلامية الذهبية فى مصر .
عبد الرحمن فهمى : دراسات فى السكة فى مصر الإسلامية ص١٧١ رسالة دكتوراه / جامعة القاهرة.

ظل الدينار فى مصر قاعدة التعامل حتى بعد الفتح الفاطمى ، غير أن جوهر القائد بادر إلى سك دنانير جديدة أطلق عليها اسم المعزية[١] ، وقد استطاع الفاطميون بفضل الذهب الذى أحضروه[٢] معهم أن يحلو مشكلات النقد التى واجهت حكام مصر قبلهم من الاخشيديين[٣].

وعلى الرغم من اصدار جوهر للدنانير المعزية ، إلا أن الحكومة الفاطمية لم تمنع من التعامل بالدينار الراضى (نسبة إلى الخليفة الراضى با لله العباسى) والدينار الأبيض ، أو الدنانير والدراهم التى ضربت فى عهد الأمين والمأمون وسميت بالرباعيات[٤] .

ومما يجدر ملاحظته أن الفاطميين فى مصر وضعوا نظامًا ماليًا جديدًا يتفق وسياستهم المذهبية . فعملوا على التقليل من قيمة النقد الذى كان متداولاً فى

---

(١) يقول العينى : أن جوهر أسماها " الشوكية " . عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان ص٢٣١ ، ص٢٣٤ مخطوط بدار الكتاب رقم ١٥٨٤ تاريخ .

(٢) أشارت كثير من المصادر إلى أن ما حمله جوهر من بلاد المغرب كان حمل خمسة عشر ألف جمل وبغل تحمل صناديق الأموال وأوانى الذهب بالاضافة إلى ما صهر من ذهب على هيئة أرحاء الطواحين حمل فوق ظهور الجمال .

المقريزى : خطط حـ١ ص٤٣٢ ، ابن سعيد : النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة ص١٠٢

(٣) عبد الرحمن فهمى وآخرين : القاهرة . تاريخها – فنونها – أثارها ص٥٣٩ وقد قدر بعض المورخين ما أحضره من سبائك الذهب بثلاثة وعشرين مليونًا من الدنانير .

(٤) جمال سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق ص١٦٢ ويقول أنها سميت بالرباعيات لأن وزنها كان أربع حبات ويشير على مبارك إلى أنها كانت جيدة العيار والوزن حيث كان متوسط وزنها ٤,١٠ جرام على مبارك: الخطط التوفيقة حـ٢٠ ص٩٩

مصر برفع قيمة النقود التى تحمل أسماء الخلفاء الفـاطميين(١) . ومـن ذلـك أنـه لما قدم الخليفة المعـز لديـن الله مـن بـلاد المغـرب سـنة ٣٦٢ هـ / ٩٧٢ م عهـد إلى يعقوب بن كلس وعسلوج بن الحسن بالاشراف على الخراج ، فامتنع يعقوب بـن كلس أن يأخذ إلا دينارًا معزيًا ، فاتضع الدينار الراضى وانحط ونقـص مـن صرفـه أكثر من ربع دينار ، وخسر الناس كثيرًا من أموالهم فـى الدينـار الأبيـض والدينـار الراضى(٢) . وكان صرف الدينار المعزى خمسة عشر درهمًا ونصف(٣) .

من هذا يتبين لنا أن الحكومة الفاطمية حملت الناس على أن يتعاملوا بالدينار المعزى الفاطمى ، وأن يتركوا ما بـأيديهم مـن الدنـانر الأخـرى ، ورغـم أن تلـك الدنانير إذ ذاك كانت أكثر وزنًـا وأشـد نقـاوة مـن الدينـار المصـرى . فكـان وزن الدينار الراضى ٤,٢٥ جرام بينما لم يبلغ الدينار المعزى هذا القدر(٤) .

وكان أهم ما يميز العملة الفاطمية العبارة التـى تـدل علـى جودتهـا ، فكـان ينقش عليها عبارة " عال " أو " عال غاية "(٥) وهـذه العبارة هى العلامة أو الرمز

---

(١) حسن إبراهيم حسن : المعز لدين الله ص١٧٣

(٢) ابن ميسر : أخبار مصر ص٤٥ ، المقريزى : النقود الإسلامية ص١٤

(٣) المقريزى : نفسه . ساوى الدينار المعزى الدينار الأغلبى ، فكـانت قيمـة الدينـار المعـزى ٤,١٩ جرام ووصل أعلى وزن له ٤,٢٣ جرام ، كما تميز بأن كمية الذهب التى كانت به ظلت خالصة طوال العصر الفاطمى .

Goitein : The Excchange of gold and silver money in Fatimid and Ayyubid times . p. 41 (J.E.S.H.O.V.III 1965) .

(٤) اورد على مبارك فى الخطط التوفيقية جـ٢٠ ص١٠٤ جدولاً بأوزان الدينـار المعـزى فـى عهد المعز نجد أنه انخفض إلى أدنى وزن له سنة ٣٦٣هـ/١٩٧٣م حيـث بلـغ ١,٢٠ جـرام وكان يتزواح عادة بين ٣,٣٦٠ - ٤,٢٣٠ جرام .

(5) Lane pole : cata , of Aribic coins .p.182 , 186, 197

الذى يبين صرف العملة على المعيار الرسمى[١] .

لم تكتف الحكومة الفاطمية بأن يكون الدينار المعزى[٢] وحدة للتعامل ، فأصدرت دراهم[٣] جديدة فى عهد الخليفة الحاكم بأمر الله ، حيث تزايد أمر الدراهم سنة ٣٩٩ هـ / ١٠٠٨ م فبلغت أربعا وثلاثين درهمًا بدينار . ونزل السعر واضطربت أمور الناس ، فرفعت تلك الدراهم وأنزل من القصر عشرين صندوقًا فيها دراهم جديدة وزعت على الصيارف ، وقرئ سجل بمنع التعامل بالدراهم الأولى وترك من فى يده شئ منها ثلاثة أيام ، وأن يورد جميع ما يتحصل منها إلى دار الضرب ، فاضطرب الناس وبلغت (الدراهم القطع والمزايدة) أربعة دراهم بدرهم جديد ، وتقرر أمر الدراهم الجدد على ثمانية عشر درهمًا بدينار[٤].

ولا يخفى علينا أن الحكومة الفاطمية كانت تحقق غرضين فى وقت واحد : أولهما أن تعمل على سحب العملة التى تحمل رمز المذهب السنى ، وتفرض عملتها التى تحمل شعار المذهب الشيعى .

---

(١) عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم فى مصر جـ١ ص١٢٨ . ومن وثيقة بردية لعقد زواج سنة ٤٦١هـ / ١٠٦٨م يرد ذكر أربعة دنانير مستنصرية جياد العيون .

جروهمان : أوراق البردى العربية جـ١ ص١٠٠ ترجمة / حسن إبراهيم حسن دار الكتب ١٩٣٤م .

(٢) ظهر إلى جانب الدينار المعزى الدينار العزيزى نسبة إلى الخليفة العزيز با لله الفاطمى .

Goitein : Amediterranean so ciety .p. 237 .

(٣) الدرهم : من وحدات العملة الفضية فى نظام السكة عند العرب وهو باليونانيه دراخمة وبالفارسيه درم وهو أيضًا من وحدات الأوزان .

دائرة المعارف الإسلامية : مادة درهم .

(٤) المقريزى : النقود الإسلامية ص١٤ ، إغاثة الأمة ص٦٤

وثانيهما : أن يفيد من الفرق في ثمن الدنانير التي انخفض سعرها نظرًا لتخلص الناس منها[١] .

وبضرب الدراهم في عهد الحاكم بأمر الله تحولت مصر بشكل واضح إلى نظام المعدنين (Bimetallica system) فأصبحت الدراهم سكة قانونية ، ومن الطبيعي أن يكون الاقبال على الدنانير والدراهم أول الأمر في المدن والمراكز التجارية ، وذلك لأن أهل الريف كانوا يسيرون على نظام المقايضة في معاملاتهم التجارية[٢]

وكان الطلب دائمًا على العملة الحديثة العهد ففي سنة ٤٤٩ هـ / ١٠٥٧ نجد أن الدينار المعزى بيع بثلاثة أرباع الدينار العزيزى (نسبة إلى العزيز بالله) ، إلا أنه رغم مرور أكثر من ثمانين عامًا على سك الدينار المعزى ، فقد كان مطلوبًا في عهد الخليفة المستنصر[٣] .

والدينار نوعان : نوع ضرب في مصر ، ونوع جلب من الخارج . أما الدنانير المصرية فتوزن بالمثاقيل ، وكل سبعة مثاقيل تزن عشرة دراهم ، والمثقال ٢٤ قيراط والقيراط سبع حبات شعير . أما الدينار الفرنجي المجلوب من بلادهم الروم والفرنجة ، فكان يساوي $\frac{١}{٢}$ ١٩ قيراط مصرى . والدينار المصرى يساوى

---

(١) عبد الرحمن فهمي : فجر السكة العربية ص٢٠٢ القاهرة ١٩٦٥م

(٢) نفسه : ص٢٠٢ ، ٢٠٣

(3) Goitein : Amediterrraneam So ciety .p. 237

أحيانًا عشرين درهما ، وتبلغ قيمته فى بعض الأحيان ١/٢ ٢٨ درهمًا أما الدينار الفرنجى فيساوى سبعة عشر درهمًا(١) .

والدراهم نوعان : الدراهم النقرة والدراهم السوداء ، والدرهم الأسود ١/٣ درهم نقرة أى أن الدرهم النقرة كان يساوى ثلاثة دراهم سوداء(٢) . وكان الدرهم النقرة هو أساس التعامل بالنسبة لتجار أعالى البحار . وكان هؤلاء التجار يبحثون عن الفضة النقرة ويشترونها من الأسواق(٣) .

أما الفلوس فإنها تختلف عن الدراهم فى أنها غير مطبوعة على السكة(٤) ، ولا شك أنه كان للفاطميين فلوسهم ؛ فمن الوثائق البردية التى ترجع إلى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) نجد أن أسعار بعض الحاجبات كانت تنخفض إلى أجزاء من الدنانير تبلغ " سدس دينار " كان الدفع فيها يتم بالفلوس ، كما كانت تحدد أجور بعض العمال بالدراهم وأجزاء من الدراهم فتبلغ ربع درهم

---

(١) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ص٦٠٥

وكان على أحد وجهى الدينار الفرنجى صورة الدولة الأجنبية وعلى الوجه الآخر صورة القديس بطرس وبولس وتسمى هذه العملة بالدوقات وهى عملة البندقية لأن أميرهم يسمى دوقًا .

(٢) القلقشندى : صبح الأعش جـ٣ ص٤٤٣ والدراهم السوداء التى أمر بضربها الخليفة الفاطمى الآمر بأحكام الله سنة ٤٩٧هـ/١١٠٣م وهى الفضة السوداء المشهورة بالآمرية السيوطى : حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة جـ٢ ص١٥٥

(3) Goitein : A medetrranean society .p .368 .

(٤) القلقشندى : نفسه . والفلس اسم العملة النحاسية أخذت اسمها من كلمة ابلس اليونانيه وأن كان يبدو أن أصل الكلمة لاتينى من Follis كما أطلق أيضًا على القراطيس وهو ستة فلوس بارتولد : تاريخ الحضارة الإسلامية ص٣٦ ، عبد المنعم ماجد تاريخ الحضارة الإسلامية ص٤٣ ١٩٦٣م .

أحيانًا ، فقد وصلت أسعار بعض الأقمشة إلى قيراط ، ومن الطبيعى أن يكون تقدير أجزاء هذه الدراهم والقراريط بالفلوس ، ومن أنواع الفلوس كان الدانق(١).

وكان فى أسواق مصر فى فترة الحروب الصليبية الدنانير الصليبية ، حيث قلد الصليبيون فى عملتهم العملة التى وجدوها فى المنطقة التى أسسوا فيها اماراتهم . فسكوا دينارهم على نسق الدينار الفاطمى ، وقلدوا الدينار المستنصرى والدينار الآمرى ، وكانت نسبة الذهب فى الدينار الفاطمى أعلى منها فى الدينار الصليبى(٢) .

كذلك حفلت أسواق مصر فى العصر الفاطمى بكثير من العملات الأجنبية، حيث كان الدفع يتم أحيانًا بالدينار الصورى ، والبيزنطى ، كما تدفقت العملات الذهبية والفضية من الغرب على مصر خلال النصف الأول من القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) وخاصة من تونس ثمنًا للبضائع الواردة من بلاد الشرق(٣) .

---

(١) الدانق : لفظ قديم فى الفارسية القديمة ، استعمله العرب فى الجاهلية للدلالة على وزن معين فى النقد ، ثم استعمل فى العصر الإسلامى كوزن ثقله عشر حبات من الشعير أو أربعين حبة من حبات الأرز أو ثلاث قراريط وثمن قيراط .

المقريزى : إغاثة الأمة ص١٠ حاشية(١) .

(2) Ehrenkrautz : Arabic Dinars struk by the crusaders .p.178 (J.S.E.H.O.V, VII, part II 1964)

(3) Goitein : the Exchange of gold .p.p 45 - 46 (J.E.S.H.O. V.III. 1965)

وكان لوزن الدينار أهمية كبرى . فكلما زاد وزنه دل ذلك على غنى الدولة ورفاهيتها وعنايتها بالعملة حتى تكسب ثقة الناس . ويتسع نطاق تداولها . أما إذا نقص وزن الدينار فإن ذلك يدل على اضطراب الحالة الاقتصادية فى البلاد. وفى هذه الحالة يعمد الخليفة إلى انقاص وزن العملة حتى يقلل من نفقات الدولة ، فتنخفض رواتب الموظفين ويزيد مقدار الضرائب(١) .

أما فى الدولة البيزنطية . فقد احتفظت العملة البيزنطية طوال تاريخها بقيمتها سليمة لم يمسها سوء ، وكانت الامبراطورية البيزنطية تسير على نظام العملة الذهبية وكانت وحدة العملة تزن حوالى ٦٠ حبة وكانت تعرف فى بادئ الأمر باسم Solidus صوليدوس وفى العالم الشرقى باسم النوميسما Nomisma وهى تساوى ١/٧٢ واحد على اثنين وسبعين من رطل الذهب(٢) فى الوقت الذى كان يتعامل فيه الغرب بالبيزانت(٣) .

ومن بداية الدولة الأيسورية وحتى نهاية عصر قسطنطين الخامس ٧٤٠ - ٧٧٥ م سكوا عملة تسمى "سيمسيس" Semissis تساوى نصف الصوليدوس حتى كان عهد باسيل الثانى فبدوأ فى سك أشكال مختلفة من النوميسما الخفيفة والثقيلة(٤).

---

(١) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ص٦٠٥ .

(٢) وهى تساوى ١٢ شلنا أى ستين قرشًا تقريبًا . فقد كتب بنيامين التطيلى Benjamin de tudela أن الدولة جبت فى القرن الثانى عشر من القسطنطينية وحدها ٧,٣٠٠,٠٠٠ نومسمًا .

نورمان بيتر : الامبراطورية البيزنطية ص١٦

(٣) يذكر بيتر : نفس المرجع ص٢٩٢ أن بيزات الدولة ظلت جارية فى المعاملات بين الناس حتى آواخر العصور الوسطى .

(4) David .T , Rice : the Byzantines .p. 145

عفاف صبرة : نفس المرجع ص١٥٦

وعلى الرغم من أخطار الحروب الخارجية التى تعرضت لها بيزنطة خلال القرنين التاسع والعاشر الميلاديين ، إلا أنها تميزت برخاء اقتصادى ملحوظ ، وقد ساعد على ذلك الرخاء استقرار قيمة العملة البيزنطية حتى سادت أنحاء أوربا(١) ، وقد أدى ذلك الاستقرار فى العملة فضلاً عن جودتها إلى التعامل بالعملة البيزنطية فى بعض المدن الإسلامية ومنها الدنانير الأرمانوسية(٢) .

وكانت القسطنطينية تمد التجار والممولين بالعملة المقبولة فى السوق وهى البيزانت البيزنطى الذهبى ، الذى لقى رواجًا كبيرًا وثقة بين المتعاملين(٣) .

وكانت العملة الذهبية تسك فى القسطنطينية فقط أما غيرها من المعادن فتسك بأى مكان بالامبراطورية(٤) ، لذا فقد ضمن الاستقرار العجيب فى السياسة المالية البيزنطية عملته العالمية . فقد كانت مقبولة فى جميع الأمم المجاورة بسبب وزنها المضبوط كأساس ثابت للتعامل(٥) .

---

(1) Thompson ; Economic and so cial history of the middle Ages .Vol , I,P.335 (New york 1959)

أحمد عبد الكريم سليمان : المسلمون والبيزنطيون ص٢٦٨ - ٢٦٩ -

(٢) الفارقى : تاريخه ص١٥٨ - ص١٥٩ تحقيق / بدوى عبد اللطيف بيروت ١٩٧٤م وهذا بخصوص هروب زوجة الخليفة القائم بأمر الله العباسى أثناء فتنة البساسيرى اذ رتب لها الأمير نصر الدولة بن مروان حاكم ميافارقين كل يوم خمسين دينار أرمانوسية ، وفى موضع آخر ذكر المؤلف أن أحد تجار ميافارقين ربح فى يوم واحد خمسين دينار ارمانوسية. نفسه ص١٦٧

(3) Finlay : op cit .p.145

(4) Ibid .p. 146 .

(5) Baynes (Norman): The Byzantine Empire.p.121 (London 1926).

عفاف صبرة : نفس المرجع ص٣٤٧

مصادر ومراجع البحث

أولاً : المصادر والمراجع العربية والمترجمة :

ابن الأثير (٦٣٠ هـ / ١٢٣٨ م) على بن أحمد بن أبى الكرم

- الكامل فى التاريخ ، القاهرة ١٣٥٣ هـ ، مطبعة الاستقامة - دار الكتاب العربى بيروت .

أحمد السيد دراج

- الوثائق العربية المحفوظة فى دور الأرشيف الأوربية من أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة مارس - إبريل ١٩٩٦ م .
- عيذاب : مقالة فى مجلة نهضة أفريقيا العدد التاسع والعاشر يوليو - أغسطس - ١٩٥٨ م .

أحمد عبد الكريم سليمان

- المسلمون والصليبيون فى شرقى البحر المتوسط فيما بين القرنين الثالث والسادس الهجريين التاسع والثانى عشر الميلادى . مطبعة السعادة ١٤٠٢ هـ/١٩٨٢ م.

الإدريسى (٥٤٩ هـ / ١٢٥١ م) محمد بن عبد العزيز الشريف

- صفة المغرب وأرض السودان ومصر مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق ليدن ١٨٦٦م روما ١٨٧٨ م .

أسد رستم

- الروم فى سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلتهم بالعرب ٥ أجزاء دار الكشوف .

السيد عبد العزيز سالم

- تاريخ الأسكندرية وحضارتها فى العصر الإسلامى ، دار المعارف ١٩٦٩م .

الاصطخرى (ت ٣٤١ هـ) أبو إسحاق إبراهيم بن محمد

- مسالك الممالك ليدن ١٩٦٧ م ونسخة حققها محمد جابر عبد العال الحسينى ١٩٦١ م .

ابن الأزرق الفارقى (ولد سنة ٥١٠ هـ) أحمد بن يوسف

- تاريخ ميافارقين تحقيق د / بدوى عبد اللطيف بيروت ١٩٧٤ م .

أيمن فؤاد سيد (الدكتور) .

- الدولة الفاطمية فى مصر تفسير جديد الدار المصرية اللبنانية ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م .

بارتولد : ف

- تاريخ الحضارة الإسلامية ، ترجمة / حمزة طاهر ، دار المعارف ١٩٤٢ م .

بدر عبدالرحمن محمد (الدكتور)

- النشاط التجارى فى مصر فى العصر الفاطمى ، رسالة ماجستير آداب القاهرة ١٩٧٧م .
- تطور العلاقات الفاطمية البيزنطية منذ قيام الخلافة الفاطمية فى بلاد المغرب حتى منتصف القرن الخامس الهجرى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م .

برنارد لويس

- النقابات الإسلامية ، ترجمة / عبد العزيز الدورى - مجلة الرسالة العدد ٣٥٥ القاهرة ١٩٤٠ م .

البراوى : الدكتور راشد

- حالة مصر الاقتصادية فى عهد الفاطميين ، القاهرة ١٩٤٨ م .

البكرى (٤٨٧ هـ / ١٠٩٧) أبو عبيد عبد الله .
- المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، طبعة دى سلان الجزائر ١٨٥٧ م .

بوركهارت
- رحلات بوركهارت فى بلاد النوبة والسودان ترجمة / فؤاد أندراوسى القاهرة ١٩٥٩ م .

بينز : نورمان
- الامبراطورية البيزنطية تعريب / حسين مؤنس ومحمود يوسف زايد ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر الطبعة الثانية ١٩٥٧ م .

ابن تغرى بردى (٨٧٤ هـ / ١٤٩٦ م) جمال الدين بن يوسف
- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة دار الكتب ١٣٤٨ هـ ، ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ م .

الجاحظ (٢٥٥ هـ / ٨٦٩ م) أبو عثمان عمرو بن بحر .
- التبصر بالتجارة نشره وصححه وعلق عليه حسن حسنى عبد الوهاب (الجزائر ١٩٠٥ م) .

ابن جبير (٦١٤ هـ / ١٢١٧ م) أبو الحسن محمد بن أحمد
- رحلة ابن جبير تحقيق / حسين نصار القاهرة ١٩٥٥ م .

جروهمان : أدولف .
- أوراق البردى العربية الجزء الأول ترجمة / حسن إبراهيم حسن دار الكتب ١٩٣٤ م .

جورج فضلو حوراني

- العرب والملاحة فى المحيط الهندى فى العصور القديمة وأوائل العصور الوسطى ، ترجمة / السيد يعقوب بكر مكتبة الأنجلو المصرية .

حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف

- المعز لدين الله إمام الشيعة الإسماعلية ومؤسس الدولة الفاطمية ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٧ م .

حسن إبراهيم حسن .

- تاريخ الدولة الفاطمية مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٨ ، ١٩٦٤ م .
- تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ٤ أجزاء مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٧ م .

حسن حسنى عبد الوهاب

- ورقات فى الحضارة العربية القسم الثانى تونس ١٩٦٦ م .

حسنين ربيع الدكتور

- النظم المالية زمن الأيوبين والمماليك مطبعة جامعة القاهرة ١٩٦٨ م .
- دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية دار النهضة العربية ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٦ م .

ابن حوقل (٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م) أبو القاسم محمد البغدادى الموصلى .

- المسالك والممالك نشردى غوية ليدن ١٨٧٣ م .
- صورة الأرض ليدن ١٩٣٨ م ، ١٩٦٧ م.

ابن خرداذبة (٣٠٠ هـ / ٩١٢ م) أبو القاسم عبد الله بن أحمد

- المسالك والممالك ومعه نبذة من كتاب الخراج وصنعة الكتابة لقدامه بن جعفر ليدن ١٨٨٩ م ، ١٩٦٧ م)

ابن خلدون (٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م) عبد الرحمن بن محمد

- العبرد وديوان المبتدأ والخبر (تاريخ ابن خلدون) .

ابن دقماق (٨٠٩ هـ / ١٤٠٦) محمد بن أيدمر العلائى .

- الانتصار لواسطة عقد الأمصار الجزء الرابع والخامس بولاق ١٣٠٩ هـ الطبعة الثانية .

الدمشقى (من علماء القرن الخامس الهجرى) أبوالفضل جعفر بن على الدمشقى

- الاشارة إلى محاسن التجارة مطبعة المؤيد ١٣١٨ هـ .

الدوادارى (ألفه سنة ٧٣٤ هـ / ١٣٣٠م) أبو بكر عبد الله بن أيبك.

- كنز الدرر وجامع الغرر الجزء السادس من الدرة المضية فى أخبار الدولة الفاطمية تحقيق / صلاح الدين المنجد القاهرة ١٣٨٠ هـ / ١٩٦١ م .

رينسمان : ستيفن

- الحضارة البيزنطية ترجمة / عبد العزيز جاويد القاهرة ١٩١٦ م .

ابن الزبير : القاضى الرشيد (القرن الخامس الهجرى)

- كتاب الذخائر والتحف تحقيق / محمد حميدا لله الكويت ١٩٥٩ م .

زكى محمد حسن

- كنوز الفاطميين دار الكتب القاهرة ١٩٣٧ م .

سرور : الدكتور محمد جمال الدين .

- الدولة الفاطمية فى مصر دار الفكر العربى ١٩٦٦ م .

- سياسة الفاطميين الخارجية دار الفكر العربى ١٩٦٦ م .

- تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق دار الفكر العربى ١٩٦٧ م .

سعاد ماهر الدكتورة .

- محافظات الجمهورية فى العصر الإسلامى فصلة من مجلة كلية الآداب المجلد ٢١ العدد الأول ١٩٥٩ م .

ابن سعيد (٦٧٣ هـ / ١٢٧٥ م) على بن موسى المغربى .

- المغرب فى حلى المغرب تحقيق / زكى محمد حسن ، سيدة إسماعيل كاشف ، شوقى ضيف مطبعة جامعة القاهرة ١٩٥٣ م .
- النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة تحقيق / حسين نصار دار الكتب ١٩٧٠ م .

سليمان التاجر

- رحلة سليمان التاجر وفيه ذيل لأبى زيد حسن السيرافى تحت عنوان سلسلة التواريخ مع مقدمة وترجمة باللغة الفرنسية باريس ١٨٤٥ م .

سليمان مصطفى زبيس

- المامة عن أحوال القاهرة الاقتصادية وعلاقاتها مع الخارج فى عهد الفاطميين من أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة مارس إبريل ١٩٦٩ م الجزء الثانى .

سونيا . ى . هاو .

- فى طلب التوابل مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٧ م .

السيوطى (٩٤١ هـ / ١٥٠٥ م) عبد الرحمن بن أبى بكر جلال الدين.

- حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة جزءان مطبعة الوطن ١٢٩٩ هـ .

أبو شامة (٦٦٥ هـ/١٢٦٧ م) شهاب الدين عبدالرحمن بن إسماعيل المقدس.

- الروضتين فى أخبار الدولتين الجزء الأول فى قسمين تحقيق / محمد حلمى أحمد القاهرة ١٩٥٦ - ١٩٦٢ م .

شارل ديل

- البندقية جمهورية ارستقراطية تعريب / أحمد عبد الكريم وتوفيق إسكندر القاهرة ١٩٤٨ م .

الشاطر بصيلى عبد الجليل

- الكارمية مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية المجلد ١٣ سنة ١٩٦٧ م .

الشيال : الدكتور جمال الدين

- مجمل تاريخ دمياط ١٩٤٩ م .

- تاريخ مصر الإسلامية من الفتح العربى إلى نهاية العصر الفاطمى دار المعارف ١٩٦٧ م .

- الشيزرى (٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م) عبد الرحمن بن نصر .

- نهاية الرتبة فى طلب الحسبة تحقيق / السيد الباز العرينى القاهرة ١٣٦٥ هـ/١٩٤٦م).

أبو صالح الأرمنى (٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م) أبو المكارم جرجس بن مسعود

- تاريخ الشيخ أبى صالح الأرمنى المعروف بكنائس وأديرة مصر نشر وترجمة - ايفتس اوكسفورد ١٨٩٥ م .

صلاح الدين الشامى :

- الميناء العربى الأول مجلة نهضة أفريقيا العدد التاسع أغسطس ١٩٥٨ م .

عاشور : الدكتور سعيد عبد الفتاح .

- أوربا فى العصور الوسطى الطبعة السادسة ١٩٧٥ م .

ابن عبد الحكم (٢٥٧ هـ / ٨٧١ م) عبد الرحمن بن عبد الله .
- فتوح مصر وأخبارها ليدن ١٩٢٠ م .

عبد الرحمن فهمى :
- دراسات فى السكة فى مصر الإسلامية رسالة دكتوراة جامعة القاهرة.
- فجر السكة العربية القاهرة ١٩٦٥ م .

العرينى : الدكتور السيد الباز .
- كتاب والى المدينة مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة العدد ١٩ ١٩٥٧ م .
- مصر فى عهد الأيوبيين القاهرة ١٩٦٠ م .

عطيه القوصى :
- تجارة مصر فى البحر الأحمر منذ فجر الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية.

عفاف سيد صبرة الدكتورة :
- الامبراطوريتان البيزنطية والرومانية الغربية زمن شارلمان ، دار النهضة العربية ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .

على بهجت :
- حفريات الفسطاط .

على حسنى الخربوطلى :
- البحر المتوسط بحيرة عربية دار المعارف ١٩٦٣ م .

على مبارك :
- الخطط التوفيقية ٢٠ جزءًا بولاق ١٣٠٦ هـ .

عمر كمال توفيق :

- تاريخ الامبراطورية البيزنطية الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧ م .

العينى (ت ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م) بدر الدين محمود .

- عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان محفوظ بدار الكتب رقم ١٥٨٤ تاريخ .

أبو الفدا (٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م) عماد الدين إسماعيل .

- تقويم البلدان باريس ١٨٣٠ م وأعادت طبعة مكتبة المثنى ببغداد .

- المختصر فى أخبار البشر المطبعة الحسينية ١٣٢٥ هـ .

قسطنطين رزيق :

التجارة الإسلامية وأثرها فى الحضارة

مقالة فى مجلة المقتطف ديسمبر ١٩٣٥ م .

القلقشندى : (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) أبو العباس أحمد .

- صبح الأعشى فى صناعة الانشاء ١٤ جزءًا الهيئة العامة للكتاب ١٩١٣ - ١٩١٧ م .

كلود كاهن :

- تجار القاهرة الأجانب فى عهد الفاطمين والأيوبين .

من أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة ١٩٧١ م .

ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) عماد الدين إسماعيل .

- البداية والنهاية القاهرة ١٩٣٣ م .

الكندى (٣٥٠ هـ / ٩٦١ م) أبو عمر محمد بن يوسف .

- كتاب الولاه وكتاب القضاه مهذب ومصحح بقلم رفن حست بيروت ١٩٠٨م.

لويس أرشيبالد :

- القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ترجمة / أحمد عيسى .

ماجد : الدكتور عبد المنعم .

- نظم الفاطميين ورسومهم فى مصر . جزاءان القاهرة ١٩٥٣ م .
- تاريخ الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى مكتبة الأنجلو ١٩٦٣م.

متز : آدم .

- الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، نقله إلى العربية الدكتور / محمد عبد الهادى أبو ريدة القاهرة ١٩٤٠ - ١٩٤١ م .

محمد رمزى :

- القاموسى الجغرافى للبلاد المصرية .
- القسم الأول الخاص بالبلاد المندرسة ١٩٥٣ - ١٩٥٤ م .
- القسم الثانى الجزء الأول والثانى ١٩٥٤ - ١٩٥٥ م .

محمود على الحويرى :

- أسوان فى العصور الوسطى رسالة ماجستير / جامعة القاهرة .

ابن مخرمة (٩٤٧ هـ / ١٥٢٤ م) أبو عبد الله الطيب بن عبد الله .

- تاريخ ثغرعدن ليدن ١٩٣٦ م .

المخزومى (القاضى السعيد ثقة الثقات ذو الرياستين أبو الحسين على بن أبى عمرو عثمان بن يوسف) المتوفى سنة ٥٨٥ هـ / ١١٨٩ م .

- المنهاج فى أحكام خراج مصر . محفوظ بالمتحف البريطانى رقمAdd 23, 483 ونشره كلود كاهن - القاهرة - المعهد الفرنسى للآثار ١٩٨٦م (منتخبات).

المسبحى (الأمير المختار عز الملك محمد بن عبيد الله بن أحمد) المتوفى سنة ٤٢٠ هـ / ١٠٢٩ م

- أخبار مصر ، الجزء الأربعون حققه أيمن فؤاد سيد وتيارى بيانكى القاهرة - المعهد الفرنسى للآثار ١٩٧٨ م .

المسعودى : (ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٦ م) أبو الحسن على بن الحسين .

- مروج الذهب تحقيق / محمد محى الدين عبد الحميد القاهرة ١٩٥٨م، وطبعه باربيه دماينار باريس ١٨٦١ م .
- التنبيه والاشراف بيروت ١٩٨١ م .

المقدسى : (٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م) شمس الدين أبو عبد الله

- أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ليدن ١٩٠٦ م ، ١٩٦٧ م .

المقريزى (٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م) تقى الدين أحمد بن على .

- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار جزءان بولاق ١٢٧٠ هـ .
- النقود الإسلامية القسطنطينية ١٢٩٨ هـ .
- إغاثة الأمة بكشف الغمة تحقيق / محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشبال القاهرة ١٩٤٠ م .
- اتعاظ الحنفاء بذكر الأئمة الفاطميين الخلفاء .تحقيق / جمال الدين الشبال ، محمد حلمى محمد أحمد .

ابن مماتى (٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م) الأسعد بن مماتى .

- قوانين الدواوين تحقيق / عزيز سوريال عطية القاهرة ١٩٥٣ م .

ابن ميسر (٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ م) محمد بن على بن يوسف .

- أخبار مصر طبعة هنرى ماسيه القاهرة ١٩١٨ م .

ناصر خسرو (٤٨١ هـ م ١٠٨٨ م)

- سفرنامة ترجمة / يحيى الخشاب القاهرة ١٩٤٥ م ، بيروت ١٩٧٠ م .

النابلسى (توفى بعد سنة ٦٣٢ هـ/١٢٣٤ م) أبو عثمان النابلسى الصفدى.

- تاريخ الفيوم وبلاده القاهرة المطبعة الأهلية ١٨٩٨ م .
- لمع القوانين المضية نشر كلود كاهن (BEO 1958 - 60) .

النويرى (٧٣٣ هـ/ ١٣٣ - ١٣٣٢م) شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب .

- نهاية الأرب فى فنون الأدب طبع الهيئة المصرية للكتاب ١٤١٣ هـ/١٩٩٢م .

- الجزء الثامن والعشرون حققه ووضع حواشيه د . محمد محمد أمين ، د / محمد حلمى محمد أحمد .

يحيى بن سعيد الانطاكى (٤٥٨ هـ / ١٠٦٦ م) .

- صلة تاريخ أوتيخا (التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق) بيروت ١٩٠٩م

ياقوت الحموى (٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م) شهاب الدين ياقوت بن عبد الله .

- معجم البلدان ١٠ أجزاء القاهرة مطبعة السعادة ١٩٠٦م ، دار احياء التراث العربى - بيروت .

اليعقوبى (٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م) أحمد بن يعقوب بن جعفر .

- كتاب البلدان ليدن ١٨٩٢ م، ليدن ١٩٦٧ م ، وطبعة فبيت القاهرة ١٩٣٧م.

ثانيًا المراجع الأجنبية :

- **Ashtor : (Eliyahu)**

1. Materiaux pour L' histoire des prix dans L'Egypte (J. E. S. H. O. V. I part 1. 1963)
2. Histoire des prix des salaire dane l'orient medeival (paris 1969)

- **Beazley** (C. R.) ; The dawn of Modern Geography (Vol , 2 , 1897)
- **Bury . J.**

1. History of the later Roman Empire . (III Vols, London 1923)
2. Roman Emperors from Basil II To isaac Kamnen = nus Historical Reviw , IV (1889) .

- **Cahen . (Claud) :**

1. Les Marchandes etrangers au caire sous les Fatimides et les Ayyoubides . C . I . H . C .
2. Makhzumiyat Etudes sur l'Histoire economique et Financiere de l'Egypte Medieval (Leiden BriLL 1977) .
3. Dunese et commerce dans les portes Mediterranean de l'Egypte (Ar abica . 7 . 1967) .

- **Charanis :** The Social Structure of the Later Roman Empire in Bygantine . (london 1942)
- **Canard : M ;**

1. " Une Lettre du Calife Fatimite al - Hafig (524 - 544 / 1130 - 1144) 'a Roger II " dans atti del Cannegno Internazianal di Studi Ruggeriano (palerm 1955)
2. La destruction de l'eglise de la resurreection par le calife Hakim et l'Histoire de la descent du Feu sacre . (Byzantion XXXV . 1962) .

- **David . T . Rice ;** the Byzantins . (M . B . E . 1962) .
- **Depping :** Histoire du commerce entre le levant et l'Europe . Tom . I.

- **Diehl** : Ch ; Byzantium Greatness and Decline (new Brunswik new Jersy 1957).

- **Ehrenkraug :** Arabic Dinars struk by the crusaders . (J . E . S . H . O V , VII , part ll , 1964)

- **Finalay :** G ; History of the Byzantine Empire (london 1906) .

- **Goitein . (S.D.)**

  1. the exchange of gold and silver money in Fatimid and Ayyubid times (J . E . S . H O . V . LLL , 1965) .
  2. Evidence on the muslim polltax from non muslim sources . (J . E . S . H . O . V , V I ' 1963) .
  3. From the mediterranean to india (Speculum xx1x 1954) . 4 - A
  4. A mediterrananean so ciety. IV (Berkeley 1983)
  5. Cairo , an islamic city in the light of the Geniza Docummment " in lapidus ira . M (ed) middle Eastern cities . (Berkeley 1964)
  6. studies in islamic History insitution (leyden 1966) .

- **Garcin** : (J . C) ; un Center Musulman de la Haute Egypte medieval qus (Le Caire . I. F. A. O. 1975) .

- **Gosse** ; (Philip) : The History of Piracy . (London 1932) .

- **Heyd** , (w) ; Histoire du Commerce du levant au Moyen Age. (Leipgig 1923) .

- **Jeorg Monks** ; The church of aLEXANDRIA (Speculum XXV, III , April 1953) .

- Klunzinger (C. B.) Upper Egypt its people and its products (London 1878) .

- **Lane Poole (Stanley) :**

  1. A History of Egypte in the middle Ages (London 1901) .
  2. Catalogue of Arabic coins preserved in the Khedivial Library . (London 1897) .

- **Mann (Jacob)** : The Jews in Egypt and Palestine under the Fatimid Caliphs . (Oxford 1920) .

- **Maspero et Wiet** : Materiaux pour Sirvir 'a la Geogaphie de l'Egypte (Le Caire1919) .

- **Newbegin (Marian)** : Mediterranean land an intraduction study in Human and Historical Geagraphy (London 1907) .

- **ostrogorsky** : History of the Byzantine State .(Oxford 1956) .

- **pirrenne** : H ; Mohamead and Charlemagn . (N. Y. 1934) .

- **Rabie** : H ; the Financial System of Egypt . AH 564 - 641 AD1/ 69 - 1341 . (London 1972) .

- **Shaban** ; M . A . B : Islamic History . AD 750 - 1055 (A. H . 132 - 446) Anew Interpretation .(Cambridg 1967) .

- **Satern** : S . M ; Anoriginal Document from the Fatimid chancery cancerning Italien Merchants study orientalist in onore di Giorgio levi della vida Roma 1956 .

- **Thompson** : Economic and Social History of the middle Ages . voI , I (Newyork 1959) .

- **Vasiliev** : Byzantine Empire . 11 , 3 rd Editian (Madison 1961) .

- **Wiet (Gaston)** : Histoire de la Nation Egyptiennt l'Egypte Arab . (T, IV , Paris 1937) .

رقم الإيداع ١٩٩٧/٢٤٧٨
I.S.B.N . 977-19-2667-5

المطبعة الإسلامية الحديثة

٤٢ ش دار السعادة – حلمية الزيتون
القاهرة – ت ٢٤٠٨٥٥٨